رســـــالة

"الأغلال والسلاسل في مجنون اسمه عاقل"

للشيخ "حسن قويدر" تحقيق ودراسة

دكـــــتور

رمزي السيد سيد أحمد حجازي

مدرس الأدب والنقد في كلية اللغة العربية بإيتاي البارود

جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الصادق الأمين، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، ومن اتبع سنته إلى يوم الدين.

وبعد.....،

فالحديث عن ضرورة تحقيق المخطوطات هو حديث المسلمات والبداهات التي لا خلاف فيها ولا إنكار لها، وذلك لما تحمله هذه المخطوطات بين طياتها من جواهر العلم واللغة والأدب، وما تحمله من دلالات أدبية وتاريخية، فإذا كان الحفاظ عليها واجباً، فإن تناولها بالدراسة والتحقيق أوجب.

والمخطوطة التي بين أيدينا مع أنها تنسب إلى عصر النهضة الذي شهد ازدهاراً علمياً وثقافياً واسعاً، وانتشرت فيه المؤسسات التعليمية والطباعة والترجمة والتأليف، والمجامع العلمية واللغوية، وكذلك الجمعيات والأندية الأدبية، والاهتمام بالعلم والثقافة بعد رحيل الحملة الفرنسية عن مصر، مع ذلك كله كانت لا تزال تحت أطباق الثرى، وفي غياهب النسيان، لم تحقق ولم تنشر، اكتفى المؤرخون والمترجمون لصاحبها بذكرها ضمن كتبه ومؤلفاته، التي لا يزال بعضها أيضاً مخطوطات في حاجة ماسة إلى الدراسة والتحقيق.

وتكمن أهمية تحقيق رسالة "**الأغلال والسلاسل** في مجنون اسمه عاقل" للشيخ حسن قويدر، في أنها تلفت الأنظار إلى هذا العالم اللغوي الأزهري الكبير، وإلى تراثه، وما خلفه من شعر وأدب ودراسات لغوية نفيسة؛ فقد رصدت مقدمة التحقيق مكانة الرجل الأدبية، وسلطت الضوء على نتاجه المطبوع منه والمخطوط، وأبرزت فضائله وغيرته على دينه ولغته، وحسبه من ذلك ما شهد له به مؤلف كتاب "حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر"، حيث يقول عنه: "شعره المنسجم السهل، يزري بشعر الأخطل وابن سهل، ونثره

البليغ البديع، يحاكي مقامات الحريري والبديع"[1]، ومن ثم فإن جمع تراثه وإبداعه الشعري يعد من أهم الأعمال العلمية التي ينبغي أن تتوجه تلقاءها أنظار الباحثين.

والرسالة كذلك تعلن عن شخصية أخرى، وهي شخصية "محمد عاقل" ذلك الذي انتحل قصيدة شعرية ونسبها إلى نفسه زوراً وبهتاناً، وقد أناله صاحب الرسالة ما يستحق من اللوم والتوبيخ ، وقد اطلعت على ديوانه المخطوط المسمي "مجموع أشعار محمد عاقل"، وتراثه في حاجة أيضا إلى الجمع والدراسة والتحقيق.

هذا، والله أسأل أن أكون بهذا العمل قد قمت بإماطة اللثام وكشف الغمام عن هذا الموقف الأدبي الجليل، المتمثل في دفاع عالمنا وأديبنا الأزهري عن جانب من جوانب التراث الأدبي، وأسهمت في إحياء ذكراه كواحد من العلماء الذين يندر ذكرهم في ميدان الأدب والشعر.

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق البيطار، ص٣٤٩، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.

القسم الأول

مقدمة التحقيق

القسم الأول: مقدمة التحقيق:

التعريف بصاحب الرسالة الشيخ "حسن قويدر":

هو الأديب العالم الشيخ حسن بن الشيخ على بن قويدر، الأزهري الخليلي، ولد بمصر سنة ألف ومائتين وأربع (١٢٠٤هـ -١٧٩٠م)، من أسرة مغربية الأصل، استوطن أحد أفرادها الخليل[١]، من بلاد فلسطين، وعرفت ذريته هناك بالمغاربة[٢]،

جاء والده إلى مصر القاهرة في تجارة، وأقام بها، ورزق ولده "حسن"، فرباه على الرحب والسعة، وأنبته نباتاً حسناً، وألحقه بالأزهر الشريف، فقرأ

(١) الخليل، اسم موضع وبلدة عامرة بقرب بيت المقدس في فلسطين، فيها قبر إبراهيم الخليل عليه السلام، ولذلك سميت بالخليل. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي جـ٢ ٣٨٧، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥.

(٢) انظر: مقدمة نيل الأرب في مثلثات العرب للشيخ حسن قويدر، ص٢، جمع/ محمد فني إبراهيم، المطبعة الكبرى الميرية ببولاق مصر المعزية ١٣٠١هـ، وحلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ص ٣٤٩ ،والأعلام للزركلي ج٢ ص ٢٠٦ دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٠، وأعيان البيان من صبح القرن الثالث عشر الهجري إلى اليوم، حسن السندوبي، ص١٧، المطبعة الجمالية، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٣٢هـ ١٩١٤م، وأعلام فلسطين في أواخر العهد الثماني (١٨٠٠-١٩١٨م)، عادل مناع، ص ٣٢٧، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م، وموسوعة بلادنا فلسطين، مصطفى مراد الدباغ جـ٥، القسم الثاني، ص١٢٨، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٦م، والآداب العربية في القرن التاسع عشر من السنة ١٨٠٠ إلى ١٨٧٠م، لويس شيخو جـ١، ص٤٩، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩١٠م.

العلوم والآداب على علمائه وفقهائه، ومنهم الشيخ "حسن العطار"[١]، والشيخ "إبراهيم الباجوري"[٢]، والشيخ "إبراهيم السقا"[٣]، فتخرج على أيديهم في اللغة والأدب، وأنشأ الفصول، وحبر القصائد، وكاتب أدباء وقته، وقصده الكتاب والشعراء وأخذوا عنه، وشدوا بفضله[٤]. واشتهر الشيخ "حسن قويدر" بالعلم والأدب، وهو لا يزال يتعاطي تجارة أبيه مع شركاء له بسوريا، كان يبادلهم سلع الشام ببضائع مصر، فلم يلهه ذلك عن الاشتغال بالعلوم والآداب وتصنيف الكتب وشرح المؤلفات[٥].

صفاته وأخلاقه:

(١) حسن بن محمد بن محمود العطار، ولد في القاهرة، سنة ١١٩٠هـ – ١٧٧٦م، من علماء مصر، أصله من المغرب، أقام زمنا في دمشق، وسكن إحدى المدن الألبانية، ثم عاد إلى مصر فتولى إنشاء جريدة (الوقائع المصرية) في بدء صدورها، ثم مشيخة الأزهر سنة ١٢٤٦هـ إلى أن توفي في القاهرة سنة ١٢٥٠هـ – ١٨٣٥م، الأعلام للزركلي، جـ٢، ص٢٢٠، ومعجم المؤلفين، عمر رضا كحالة جـ٣ ص ٢٨٥ دار إحياء التراث العربي،بيروت (د.ت)، وحلية البشر ص٣٣٩ وما بعدها.

(٢) إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري الشافعي، شيخ الجامع الأزهر، ولد في الباجور إحدى قرى محافظة المنوفية بمصر سنة ١١٩٨هـ – ١٧٨٤م، وقدم الأزهر وتعلم فيه، وله مجموعة مؤلفات في علوم الدين واللغة، وتوفي – رحمه الله– سنة ١٢٧٧هـ – ١٨٦٠م. معجم المؤلفين جـ١، ص٨٤، وحلية البشر ص٦.

(٣) إبراهيم بن على بن حسن السقا، خطيب من فقهاء مصر، ولد في القاهرة سنة ١٢١٢هـ – ١٧٩٨م، وتوفي فيها سنة ١٢٩٨هـ – ١٨٨١م، تولى الخطابة في الأزهر نيفا وعشرين عاماً، من كتبه (غاية الأمنية في الخطب المنبرية)، وغيره في العقيدة والفقه، الأعلام جـ١ ص ٥٤، ومعجم المؤلفين جـ١ ص٦٤.

(٤) حلية البشر ص٣٥٠، وأعيان البيان ص١٧.

(٥) أعيان البيان ص١٧، وموسوعة بلادنا فلسطين جـ٥، القسم الثاني ص١٢٨،

يقول عنه صاحب "حلية البشر": وكان – يرحمه الله وأحسن مقره ومثواه – غاية في الزهد والديانة، آية في العفة والأمانة، كثير الود للإخوان، مهيبا بين الأحبة والأقران، لا تمل – وإن طالت – مجالسته، ولا تعل – وإن زادت – مفاكهته، لما كانت تشتمل على الفوائد العائدة على محبيه بالصلات والعوائد، وكانت له صدقات وفية، مستورة عن الإظهار خفية، وقصاري الكلام في هذا الفرد الهمام، أنه كان حسنة من حسنات عصره، وجوهرة يتيمة في جيد مصر(١).

ويقول عنه صاحب "أعيان البيان": "أما أخلاقه فالعفة والأمانة، وصدق المودة، وعدم الميل مع الهوى في كشف مثالب الناس، اللهم إلا إذا كان مدافعاً عن نفسه أو أدبه، كما فعل مع "عاقل أفندي" في رسالة الأغلال والسلاسل"(٢).

وفي هذا الكلام ما يدل دلالة وافية على فضل الرجل، وبلوغه مبلغا عظيما من التحضر والتأدب، والتدين ومكارم الأخلاق.

مكانته الأدبية:

اتفقت كتب التراجم على وصفه بالأديب الناظم الناثر(٣)، بل إنه موصوف في بعضها بالعلم(٤)، وذلك لكثرة معارفه، وسعة اطلاعه، وطول باعه في صنوف كثيرة من علوم الدين واللغة والأدب، حيث إنه "لم يزل يتقدم في العلوم حتى نال فيها شهرة عظيمة (٥)".

(١) حلية البشر ص٣٤٩.
(٢)أعيان البيان ص١٧و ١٨.
(٣) انظر: حلية البشر ص٣٤٩، وأعيان البيان ص١٧، وأعلام فلسطين ص ٣٢٧، والأعلام للزركلي ج٢ ص٢٠٦.
(٤) انظر: أعيان البيان ص١٧، والآداب العربية في القرن التاسع عشر ج١ ص٤٩.
(٥) الآداب العربية ج١ ص٤٩.

يسجل له هذه المكانة الأدبية والعلمية السامقة كتاب "حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر"، إذ يقول فيه مؤلفه:

"الشيخ حسن بن الشيخ على بن قويدر الأزهري الخليلي، الأديب الناظم الناثر، ذو الفضائل والمآثر، من رقي أوج المعارف، وانتقى برج العوارف، وخاض بحور العلم، ونزه صائب فكره في رياض المنطوق والمفهوم، فلا ريب أنه كامل المقاصد، جيد القصائد، شعره المنسجم السهل، يزري بشعر الأخطل وابن سهل، ونثره البليغ البديع، يحاكي مقامات الحريري والبديع، وهو ثقة فيما يؤخذ عنه من النقول، وحجة في علمي المعقول والمنقول، كثير المعارف والفنون، غزير اللطائف، قليل المجون، لم يتخذ الشعر حرفة، ولا سكن من بيوته غرفة، بناء على أنه جل صناعته، أو أجل متاعه وبضاعته، وإنما دعاه إليه حب الأدب، ولواه إليه ما اشتمل عليه من طوية العرب"(١).

كما يشهد له بذلك كتاب "أعيان البيان" الذي تحدث عنه قائلا: "نفحة من نفحات العطار(٢) الزكية، وعلم من أفراد أدباء الأزهر النوادر، الذين وجد الأدب في قلوبهم أرضا خصيبة، وفي أذهانهم سماء صافية الأديم، ومن طابعهم جوداً مغيثا، وغيثا مدراراً، فأزهر وأثمر، وجاء من الأفانين بكل زوج بهيج، فما شئت من نثر مجود سهل، وما رمت من شعر منسجم جذل، في ميل إلى السجع، مع قليل تكلف، وخبرة بأسرار الكلام، وتفوق في فن

(١) حلية البشر ص٣٤٩.
(٢) الشيخ حسن العطار، سبقت ترجمته، وهو أستاذ الشيخ حسن قويدر، تتلمذ على يديه، وأخذ منه أكثر من غيره، انظر: الآداب العربية، ج١ ص٤٩.

المزدوجات بما لا يطال، وحسبه أنه نابغة زملائه من خريجي الأزهر في زمنه أدبا وفضلاً"[1].

وليس بعد هذا الكلام – وإن لم يخل من مبالغة في بعض جمله – كلام هو أدل على مكانة عالمنا من هذا الكلام، الذي أظهر أنه كان ناظماً وناثراً مجيداً في كلتا الصناعتين، كما كان مؤلفا في علوم اللغة والنحو والأدب وغيرها.

مؤلفاته ونتاجه الأدبي:

كان لهذه القامة العالية عدة مؤلفات لغوية وأدبية، تدل على أن صاحب الترجمة يستأهل كثيراً من الثناء السابق عليه، وأنه عالم مدقق، ولغوي محقق، وأديب بارع، يشار إليه بالبنان، قد بز كثيراً من الأقران، وتفوق على كثير من الرفقاء والخلان، فخلد ذكره بهذا التراث النفيس، وعلا نجمه بهذا النتاج العلمي الخالد.

وتتمثل أهم مؤلفاته فيما يأتي:

١- نيل الأرب في مثلثات العرب: وهو كتاب جليل القدر، عظيم الفائدة، جمع فيه ما يثلث من الألفاظ، منظومة في مزدوجة، غاية في السبك والأحكام، ليسهل حفظه على الطالبين، وموشي الهامش بفوائد عدة لا يستغني عنها متأدب، وتتضمن هذه المزدوجة الألفاظ المثلثة الحركات، المختلفة المعاني، كمثلثات قطرب، وقد ترجمه إلى الإيطالية المستشرق الأديب "أريك فيتو"، قنصل إيطالية في بيروت

(١) أعيان البيان، ص١٨و١٩.

سابقاً، وطبعه في المطبعة الأدبية، وهو مطبوع معروف[١] في صفحة الغلاف الأولى مكتوب: "كتاب نيل الأرب في مثلثات العرب لنابغة زمانه، وسيد الظرفاء في آنه، الأستاذ الشيخ حسن قويدر الخليلي، سقي الله ثراه صبيب الرحمة، وأفاض عليه سجال الإحسان والنعمة... آمين، وبهامشه تقريرات للأستاذ المذكور، تسرى الهموم، وتجلب السرور"[٢].

٢- شرح الشيخ حسن قويدر على منظومة شيخه العطار في النحو: وهي منظومة معروفة في النحو بشرحها لدى طلبة الأزهر[٣].

٣- زهر النبات في الإنشاء والمراسلات: كتاب لم يطبع[٤].

٤- الأغلال والسلاسل في مجنون اسمه عاقل: وهذه هي الرسالة المخطوطة، موضوع الدراسة التي بين أيدنا[٥].

---

(١) انظر: أعيان البيان ص١٩، وموسوعة بلادنا فلسطين: القسم الثاني ج٥ص١٢٩، ومعجم المطبوعات العربية والمعربة، يوسف سركيس ج٢ ص١٥٣٤، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة (د..ت)، والآداب العربية ج١ ص٤٩.

(٢) نيل الأرب في مثلثات العرب: صفحة الغلاف.

(٣) انظر: أعيان البيان: ص١٩، ومعجم المطبوعات العربية جـ٢ ص١٥٣٤.

(٤) أعلام فلسطين ص٣٢٧، والأعلام للزركلي جـ٢ ص٢٠٦، وإيضاح المكنون ذيل كشف الظنون عن أسامي الكتيب والفنون، مصطفى القسطنطيني الرومي جـ٣ ص٦١٩، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

(٥) حلية البشر ص٣٥١، وأعيان البيان ص١٩، وأعلام فلسطين ص٣٢٧، والأعلام للزركلي جـ٢ ص٢٠٦، وإيضاح المكنون ذيل كشف الظنون جـ٣ ص٥٥٩.

نماذج من أدبه:

من جملة نثره مقدمته لشرحه على منظومة شيخه "العطار" في النحو، ومنها: "ومن شغفي بتلك العرائس الخواطر، حملتني بواعث الخواطر، على أن أكتب عليها شرحاً، وأبني على دعائهما صرحاً، وأشد بنطاق البلاغة لها كشحا، فوقفت على أقدامي، متردداً في تأخري وإقدامي ... فشددت نطاق العزم، وتقلدت بصارم الحزم، وقومت سنان يراعي، وبسطت في حومة هذا الميدان باعي، وإني لأري التوفيق يقوم أمامي، والعناية تقود زمامي... [1]".

وبعد أن نقل مؤلف كتاب "أعيان البيان" هذا الكلام السابق أتبعه قائلاً: "ولعل الشيخ قويدر في الكلام المرسل خير منه في تنميق الخطب"[2].

ومن أشعاره التي أوردتها كتب التراجم قوله ناصحا[3]:

يا طالب النصح خذ مني محبرة	**تلقي إليها على الرغم المقاليد**
عروسة من بنات الفكر قد كسيت	**ملاحة ولها في الخد توريد**
كأنها وهْي بالأمثال ناطقة	**طير له في صميم القلب تغريد:**
احفظ لسانك من لغط ومن غلط	**كل البلاء بهذا العضو مرصود**
واحذر من الناس لا تركن إلى أحد	**فالخل في مثل هذا العصر مفقود**
بواطن الناس في ذا الدهر قد فسدت	**فالشر طبع لهم، والخير تقليد**
هذا زمان لقد سادت أراذ له	**قلنا لهم: هذه أيامكم سود**

(١) حلية البشر ص٣٥٠، وأعيان البيان ص٢٠و٢١.
(٢) أعيان البيان ص٢١.
(٣) نيل الأرب في مثلثات العرب ص٤، وحلية البشر ص٣٥٢، وأعيان البيان ص٢١.

ومن مطالع قصائده قوله[١]:

يـــا مـــن لـــه خلـــق كنفحـــة عنـــبر بـــالله كـــف ســـهام لومـــك عـــن بـــري

ومنها قوله[٢]:

لـــو كـــان أمـــر فـــؤادي دائمـــا بيـــدي لمـــا وضـــعت يـــدي الـــيمني علـــى كبـــدي

ويبدأ منظومته العلمية في كتابه "نيل الأرب في مثلثات العرب" بقوله[٣]:

يقـــول مـــن أســـاء واسمـــه حســـن لكـــن لـــه ظـــن بمـــولاه حســـن

فكـــم لمـــولاه عليـــه مـــن مـــنن بـالعـــدِّ لا تـــدخل تحـــت الحصـــر

أحمـــد مـــن قـــد زيَّـــن الإنســـانا بـــاثنين أعـــني العقـــلَ واللســـانا

ألهمـــــــه الإدراك والبيانـــــــا والفهـــمُ والنطـــق جمـــاع الخـــير

وأفضـــل اللســـان هـــذا العربـــي بـــه كـــلام ربنـــا في الكتـــب

أنزلهـــا بـــه علـــى كـــل نـــبي وترجمـــت حســـب اقتضـــاء الأمـــر

وله غير ذلك شعر كثير، لكنه مات ولم يدون شعره في ديوان، كما جرت بذلك عادة الشعراء من غابر الأزمان[٤].

وفاته:

---

(١) نيل الأرب ص٤.
(٢) نيل الأرب ص٥
(٣) السابق ص١٢.
(٤) انظر: نيل الأرب ص٤، وحلية البشر ص٣٥٢.

توفي الشيخ "حسن قويدر" في شهر رمضان سنة ألف ومائتين واثنتين وستين من الهجرة (١٢٦٢هـ – ١٨٤٦م)، وكان سبب وفاته داء الصدر، رحمه الله تعالى(١).

رثاه "الساعاتي"(٢) بقصيدة طويلة منها(٣):

بكت عيون العلا وانحطت الرتب ... ومزقت شملها من حسنها الكتبُ

ونكست رأسها الأقلام باكية ... على القراطيس لما ناحت الخطب

وكيف لا وسماء العلم كنت بها ... بدرا تماما فحالت دونك الحجب

يا شمس فضل فدتك الشهب قاطبة ... إذ عنك لا أنجم تغني ولا شهب

وقال فيه أيضا وقد سئل رثاه(٤):

قالوا قضي حسن المناقب فارثه ... فأجبتهم ومدامعي تتحدّر

لا أستطيع رثاء من لمصابه ... أضحي لساني في فمي يتعثر

التعريف بالشاعر "محمد عاقل":

---

(١) نيل الأرب ص٦و٧، وحلية البشر ص٣٥٢، والأعلام جـ٣ ص٢٠٦.

(٢) هو محمود صفوت بن مصطفى أغا الزيلة لي، الشهير بالساعاتي، شاعر مصري، ولد ونشأ بالقاهرة سنة ١٢٤١هـ – ١٨٢٥م، وتأدب بالإسكندرية، كان حلو النادرة، حسن المحاضرة، مهيب الطلعة، لم يتعلم النحو، ولا ما يؤهله للشعر، ولكنه استظهر ديوان المتنبي، وبعض شعر غيره، فنظم ما نظم، وتوفي سنة ١٢٩٨هـ– ١٨٨١م. الأعلام، جـ٧ ص ١٧٤، ومقدمة ديوان الساعاتي: الصفحات: ج، د، هـ، جمعه/ مصطفى رشيد بك، مطبعة المعارف، ١٣٢٩هـ – ١٩١١م.

(٣) ديوان الساعاتي ص١٥٣، ونيل الأرب ص٥، وحلية البشر ص٣٥٢ و ٣٥٣.

(٤) ديوان الساعاتي ص١٥٧، ونيل الأرب ص٦، وحلية البشر ص٣٥٤.

هو محمد عاقل كاشف زاده العمري[١]، ولد في مدينة الإسكندرية سنة ألف ومائتين وثمان وثلاثون من الهجرة (١٢٣٨هـ – ١٨٢٢م)، وتوفي فيها أيضاً سنة ألف وثلاثمائة وثمان من الهجرة (١٣٠٨ هـ – ١٨٩٠م).

وقد نشأ محمد عاقل نشأة دينية، حيث حفظ القرآن الكريم في صغره، ولقن مبادئ علوم اللغة، ثم التحق بالمسجد الأنور بحي المنشية بالإسكندرية، فتلقي علوم الدين واللغة والأدب عن بعض علمائه ومشايخه، وقرأ عليهم الشعر.

قام "محمد عاقل" بتدريس علوم اللغة والأدب في المسجد الأنور، بعد أن أثبت براعته في ذلك، وأصبح أديبا وشاعراً، وكان يشتغل بالتجارة إلى جانب قيامه بالتدريس[٢].

شعره وأدبه:

له ديوان شعري بعنوان: "لسان الشباب وتحفة الأحباب"[٣]، لا يزال مخطوطاً إلى الآن في متحف المخطوطات بمكتبة الإسكندرية، ولم ينشر منه سوى بعض قصائد في مجلة قديمة في عهده تسمى "فرصة الأوقات".

"يغلب عليه النزعة الوعظية والحكمية، حيث تبرز من أبياته حكم خالصة تتوجه بالنصح إلى الشباب، ضارباً الأمثلة، ومستخلصاً المواعظ من بعض جوانب الحياة، فتكثر فيها الأساليب الطلبية من خلال لغة سلسة، وأفكار واضحة، وهو يهتم برسم الصور الكلية لتعميق أثر الفكرة، وله غير ذلك قصائد

---

(١) انظر في ترجمته: أعيان البيان ص١٩، ومعجم البابطين لشعراء العربية في القرن التاسع عشر والعشرين، مجموعة من المؤلفين، (حرف الميم)، جـ٤، ص٤٩٥، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين، للإبداع الشعري، الطبعة الأولى ١٩٩٥م، والطبعة الثانية ٢٠٠٢م، والآداب العربية في القرن التاسع عشر ص٨٣.

(٢) الآداب العربية ص٨٣.

(٣) مخطوط في مكتبة الإسكندرية بمتحف المخطوطات، تحت عنوان "مجموع أشعار محمد عاقل" برقم ٧٤٦/١٩٧٧٥ د أدب، وقد اطلعت عليه بنفسي، وأخذت منه بعض الأشعار.

في الرثاء وتاريخ الأحداث الاجتماعية كالزواج والمراسلات الإخوانية، وجميعها يحتفي بالمعني الوعظي[١].

ومن شعره في ديوانه المخطوط قوله في الحكمة[٢]:

إن غض دهري فكم عض الرقيب يداً ... يوم بيوم، وأيام المني دول

وقوله[٣]:

عاشر من الناس من ترجو مودته ... وابذل له الود، إن الود فتان

ولا تثق بامرئ حتى تجرِّبَه ... فقلما طابق الإعلانَ كتمان

ومنه قوله في الغزل[٤]:

يا عاذلي في حب ليلي والهوى ... ما كل ليلي تفتن المجنونا

لو عاينت عيناك ما قد عاينت ... عيناي تصبح في الهوي مفتونا

هلا قضيت من الصبابة ساعة ... فترق يوماً كالشجي شجونا

وله في وصف الإسكندرية[٥]:

إسكندرية أزهي ما أرى وطناً ... لكنها لعديم المال زندان

لو بث فيها علوم الليث مجتهداً ... أو شعر كعب فلا يرجي له شان

---

(١) معجم البابطين جـ٤ ص٤٩٥.
(٢) مجموع أشعاره (لوحة رقم ٣٥).
(٣) السابق: لوحة رقم ٣٧.
(٤) السابق: لوحة رقم ٦٥.
(٥) السابق: لوحة رقم ١٦٠

وله في رثاء والده متأثراً بابن الرومي(ت٢٨٣هـ) في رثاء ولده قوله[١]:

وكيف اصطباري بعد فقدك والدي ... فَداء فؤادي لا يعالج بالصبر

ثكلت حياتي إذ ثكلتك قبلها ... فيا ليتني كنت المقدم للقبر[٢]

فِداءٌ لك روحي لو يظن قبولها ... لبادرت للإنجاز سعياً إلى النحر[٣]

وله أيضاً في الرثاء متأثراً بأبي الحسن التِّهامي (ت ٤١٦هـ)، في رثاء ولده أيضاً[٤]:

إن كان بدر حياته من أفقه ... قبل التمام أصيب بالإدبار

صبراً على حكم الإله وحسبنا ... أن المحاق يكون للأقمار[٥]

---

(١) مجموع أشعاره: اللوحتان رقم ٣٨و٣٩.

(٢) متأثراً في هذا البيت بقول ابن الرومي:

ثكلت سروري كله إذ ثكلته ... وأصبحت في لذات عيشي أخا زهد

(ديوان ابن الرومي جـ١ ص٤٠١، شرح الأستاذ/ أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م).

(٣) متأثراً به في قوله:

أقره عيني لوفدي الحي ميتا ... فديتك بالحوباء أول من يفدي

(ديوان ابن الرومي جـ١ ص٤٠١).

(٤) مجموع أشعاره: لوحة رقم ١٥٤.

(٥) تأثر فيهما بقول التهامي:

وهلال أيام مضي لم يستدر ... بدراً ولم يمهل لوقت سرار

عجل الخسوف عليه قبل أوانه ... فمحاه قبل مظنه الإبدار

(ديوان التهامي ص ٣٠٩، تحقيق د/ محمد بن عبد الرحمن الربيع، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ– ١٩٨٢م).

وله مشطرات لبعض القصائدة، مثل تشطيره لقصيدة أبي فراس الحمداني (ت ٣٥٧هـ)، الذي يقول في أوله[١]:

أراك عصى الدمع شيمتك الصبر وشأنك لا يخفي على من له خُبر

فكيف تداري ما يقربه الضني أما للهوى نهي عليك ولا أمر[٢]

وله في كتاب "فاكهة الندماء في مراسلات الأدباء" لناصيف اليازجي عدد من القصائد الشعرية في مراسلة ناصيف اليازجي، ونموذج كذلك من نثره في تقدمة إحدى قصائده، يقول فيه: "ثمرة غصن براعة مطلع الأدب، وحبه حسن ختام يراع مجامع الأرب، الوحيد الذي دلنا شذا عَرْف نافجة[٣] مسكه، إلى تيقن علو مرتبته قبل التحير في شكه، جناب المحب الأعز، والودود الأمير الشيخ " ناصيف اليازجي"، نال كل ما يرتجي... آمين.

أما بعد، فإن وُدَّ الأدب حميم، ولو على الأسماع، وجامع الظرف زعيم، مع تباين البقاع، وقد ورد لنا أنموذج ديوانكم المنيف، وغوثة قولكم اللطيف، فاشترى حبة القلوب، في عكاظ بيانه، وسلب درة العقول بسحر ألفاظ تبيانه، واستخفق طير ردح الشوق المحموم، والانقضاض على اقتناص فرصة التعارف، واستصفق ورد دوح النوق للسمو والانخفاض على مناص غنيمة

---

(١) مجموع أشعاره: لوحة رقم ٦٠.

(٢) مطلع قصيدة أبى فراس:

أراك عصى الدمع شيمتك الصبر أما للهوى نهي عليك ولا أمر

(ديوانه ص٦٠، تحقيق/ نخلة قرفاط، مكتبة الشرق، المطبعة الأدبية، بيروت ١٩١٠م).

(٣) النافجة: وعاء المسك. لسان العرب لابن منظور (نفج)، دار الحديث، القاهرة ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.

التآلف، فحررت هذا النميق[١]، وسيرت هذا التنميق، مذيلاً بعاطلة، هي لكم واصلة.... "[٢]، ويبدو على أسلوبه التكلف ومحاولة الظهور بمظهر المتمكن من اللغة، العارف بشواردها وغواربها، الجامع لألفاظها.

وقد ابتدأ قصيدته هذه بعد المقدمة السابقة بقوله[٣]:

معـــالم الصـــبر دون الحـــي مـــن مضـــر ومرتـــع الغيـــد في قلـــبي وفي فكـــري

ومن مؤلفاته النثرية "الجمع النتيج لكسر جسر الخليج"[٤]

وهو مخطوط، يقول في أوله: بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين، الحمد لله الذي سقانا من ماء نيلنا ذلالا طهوراً جميلاً، وروانا برّاً ودق شرابه، فاستغنينا به عن غيره زمنا طويلاً، وسخر لنا السفن تجري في البحر بأمره، إلا أن في ذلك حكمة لمن استبصر مستطيلاً، وذلل لنا الأنعام تجري بنا في البر إنعاما منه وتفضيلاً، نحمده ما تراكمت أمواج البحور في اللجج، وما ناح قمري متفكرا خليلاً، حمداً يتزايد ماهب ريح ولاح نجم قليلاً قليلاً، وأشكره شكر من إليه يؤوب، وعن ذنبه يتوب، ما جري في الخليج ماء سلسبيلاً...." [٥]

---

(١) النمق: الكتاب الذي يكتب فيه، والنميق: المنمق، لسان العرب (نمق).
(٢) فاكهة الندماء في مراسلات الأدباء لناصيف اليازجي، ص١٤، بيروت ١٨٨٩م.
(٣) انظر القصيدة كاملة في فاكهة الندماء ص١٤، ١٥، ١٦.
(٤) مخطوط في جامعة الملك سعود تحت رقم (٣٤٦٧)، مكتوب على ورقة الغلاف فيه: الجمع النتيج لكسر جسر الخليج، تأليف محمد عاقل محمد كاشف، بخط محمد عبد الرءوف البواب سنة ١٢٥٧هـ، ٢٢×١٤.٥سم، نسخة حسنة، خطها نسخ، بها آثار تلويث، وأكل أرضة، كاشف زاده، محمد عاقل، كان حيا قبل سنة ١٢٧٣هـ (الرحلات والمغامرات).
(٥) الجمع النتيج لكسر جسر الخليج ص١ (مخطوط).

ومن خلال ذلك كله يتبين أن "محمد عاقل" له حظ من الأدب والشعر، ينبغي الاهتمام بتراثه ونتاجه الأدبي الذي لا يزال مخطوطاً إلى اليوم.

أضواء على العصر:

كانت مصر في هذه المرحلة التاريخية أخطر مناطق العالم الإسلامي، لموقعها الجغرافي الذي وجهت جهود الصليبين ضده، ولوقوف أبنائها على ثغرة من ثغور الإسلام، ولأطماع بعض الحكام الذين توالوا عليها، ثم ظهور أهمية قناة السويس، أو زيادة أثر الموقع بافتتاح قناة السويس عام ١٢٨٧هـ، الأمر الذي زاد تعلق الصليبين بالسيطرة عليه(١).

وفي هذه الفترة حطت على أرض مصر الحملة الفرنسية عام ١٢١٣هـ، وجلت عن أرضها سنة ١٢١٦هـ، وكان لها آثار سلبية خطيرة على مصر ولاسيما البلدان التي جاوزت فيها، وجري خلاف على الحكم بعد الحملة الفرنسية، انتهى بأن أصبح محمد على باشا قائداً على الجند في مصر أو الحامية العثمانية.

وكانت الدولة العثمانية قد عينت خورشيد باشا حاكم الإسكندرية واليا على مصر بعد أن رأت شغب الفرقة الألبانية، وتبينت أطماع محمد على، فحاول خورشيد باشا جاهداً التخلص من محمد على وجنده، وصدر أمر السلطان بإخراج الفرقة الألبانية من مصر، بيد أن الشعب قد احتج على ذلك، فاضطرت الدولة أن تسكت عن تنفيذ أوامرها.

وفي سنة ١٢٢٣هـ أرسلت إنجلترا حملة بقيادة فريزر، فظهر محمد على بصورة المنقذ للبلاد، فتصدي للحملة، وصالح المماليك الذين كان في

(١) انظر: التاريخ الإسلامي، محمود شاكر، ص٤٦٤، الطبعة الرابعة ١٤١٢هـ- ٢٠٠٠م.

حرب معم في الصعيد، وتمسك العلماء والشعب بحقوقهم فمنحوا محمد على حكم السواحل المصرية، بعد أن كانت تحت إمرة الدولة العثمانية.

وكان لمحمد على حروب كثيرة من أجل توسيع نفوذه في الشام والحجاز ووسط الجزيرة، وفي السودان للحصول على الثروة الزراعية وما سواها، واتجه نحو اليونان لإخماد الثورة اليونانية ضد الدولة بمساعدة الخلافة العثمانية، فاحتل بلاداً يونانية كثيرة، فأردات بعض دول أوربا مفاوضته خوفاً من تمدده وتوسعه، فرفض حتى يقضي على الثورة اليونانية، فحاصرت أساطيل الحلفاء من الإنجليز والفرنسيين والروس الأسطول المصري، وشنت هجوما على الجيش، فأوقعت به خسائر فادحة، وانكمش محمد على شيئا فشيئا، وأخضعته الخلافة العثمانية لسلطانها(١).

ومن الحروب في هذه الفترة حرب القرم (١٨٥٣م – ١٨٥٦م) التي ترجع أسبابها إلى رغبة الروس في التوسيع في منطقة البحر الأسود على حساب الدولة العثمانية الضعيفة آنذاك، واشتركت كل من فرنسا وإنجلترا في هذه الحرب ضد روسيا حتى لا تتمكن من الاستيلاء على بوغاز البوسفور الذي يقع تحت سيطرة الدولة العثمانية(٢).

وكان للعلماء ولاسيما علماءَ الأزهر شأن عظيم في هذا العصر، وقد سبقت الإشارة إلى أنهم استطاعوا أن يفرضوا رأيهم بإرغام الخليفة العثماني على عزل الوالي المستبد خورشيد باشا، وتعيين محمد على في حكم مصر.

وقد ظهر في هذا العصر علماء أفذاذ مثل الشيخ "عمر الطحلاوي" (ت ١١٨١هـ – ١٧٦٧م)، والمحدث الفقيه الشيخ "على بن عمر القناوى" (ت ١١٩٨هـ – ١٧٨٣م)، والشيخ محمد الحسيني البخاري (ت ١٢٠٠ هـ – ١٧٨٥م).

---

(١) انظر: التاريخ الإسلامي، محمود شاكر ص٤٧٧ وما بعدها.

(٢) انظر: تاريخ الدولة العثمانية، محمد فريد بك، ص ٤٩١، دار النفائس، بيروت (د.ت).

ومن العلماء الوافدين إلى مصر الشيخ "حسن العطار" (ت ١٢٥١هـ – ١٨٣٥م)، وهو مغربي الأصل، وقد أصبح شيخا للأزهر، وهو ممن تتلمذ على يديه الشيخ "حسن قويدر" صاحب الرسالة التي بين أيدينا، وكذلك الشيخ "أحمد اليونسي" (ت ١٢١٨هـ – ١٨٠٣م) الذي جاء إلى مصر من "خان يونس"، وأصبح كبير القضاة بالمحكمة العليا، وكان عضوا في الديوان الذي عينه الفرنسيون إبان وجودهم بمصر(١).

ونتيجة الاضطرابات والتمزق السياسي في هذا العصر، كان العلماء ملجأ الناس في الشدائد، وممثليهم الذين ينطقون باسمهم، وقادتهم في الصراع ضد القوى التي تناهض البلاد، حيث كانت الإمبراطورية في مختلف الأنحاء، ولم تكن يدها قوية بمصر لرد أطماع الدول الأوربية فيها، كما سبقت الإشارة(٢).

وقد جمع كثير من العلماء في هذه المرحلة مع العلم ترف العيش وحياة الرخاء فكانت لبعضهم قصور شاهقة وأرض زراعية شاسعة، وخدم وحشم، وعناية كبيرة بالمظهر واللباس، وكانوا يمثلون الفكر الإسلامي المعتدل الذي يرى أنه لا رهبانية في الإسلام، وأن الإسلام لا يتنافي مع المتع الحلال والطيبات التي أحلها الله تعالى(٣).

موضوع الرسالة:

يلخص المستشرق "كارلو لاندبرج" موضوع هذه الرسالة في فهارسه بقوله: "عاقل أفندي (ت ١٣٠٨هـ) انتحل قصيدة، وادعاها لنفسه، تم كشفها،

---

(١) انظر: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية د/ أحمد شلي جـ٥ ص٣١٣ وما بعدها، مكتبة النهضة المصرية، مصر، الطبعة السادسة ١٩٨٣م.
(٢) السابق جـ٥ ص٣٢٧.
(٣) انظر: السابق جـ٥ ص٣٢٢.

وهناك عالم يدافع، ثم يأتي مؤلفنا الذي ليس فقط يبين أن القصيدة سُرقت بصورة سيئة، بل يجد فيها أخطاء كما يجد أخطاء من دافع عن عاقل، هذه القصة من القضايا المشهورة في زمنها"[١]

والقصيدة التي انتحلها "محمد عاقل" ونسبها إلى نفسه هي قصيدة غزلية للشاعر بهاء الدين زهير"[٢]، من بحر البسيط، موجودة في ديوانه بعنوان "**قلب محمل بالمحبة**"، **ومطلعها**[٣]:

دعوا الوشاة وما قالوا وما نقلوا بيني وبينكم ما ليس ينفصل

وهي صحيحة النسبة إلى البهاء زهير، وقد انتحلها "محمد عاقل" بلفظها ونصها، مما لا يمكن حمله على توافق الخواطر كما ادعى في هذه الرسالة، وهذا أمر غريب لا أجد له تفسير ولا تبريراً.

---

(١) فهارس مكتبة المدينة المنورة للمستشرق السويدي، كارلو لاندبرج جـ٢ ص٢٩٢، ترجمه من الفرنسية إلى الإنجليزية د/ عاصم حمدان على حمدان، وترجمه من الإنجليزية إلى العربية، د/ عبيد محمد خيري، طبعة ١٣٠١هـ – ١٨٨٣م.

(٢) زهير بن محمد بن على المهلبي العتكي، بهاء الدين، شاعر كان من الكتاب، يقول الشعر ويرققه، فتعجب به العامة، وتستملحه الخاصة، ولد بمكة سنة ٥٨١هـ – ١١٨٦م، ونشأ بقوص، واتصل بخدمة الملك الصالح أيوب بمصر، فقربه وجعله من خواص كتابه، وظل حظيا عنده إلى أن مات الملك الصالح، فانقطع زهير بداره إلى أن توفي بمصر سنة ٦٥٦هـ– ١٢٥٨م. (انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد جـ٧، ص٤٧٦و٤٧٧ تحقيق/ عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ – ١٩٩٩١م، والأعلام للزركلي جـ٣ ص٥٢.

(٣) ديوان بهاء الدين زهير ص٢٨٠، دار صادر، بيروت ١٣٨٣هـ – ١٩٦٤م.

وفي هذه الرسالة: "الأغلال والسلاسل في مجنون اسمه عاقل" يفضح الشيخ "قويدر" عاقلاً، ويسميه مجنوناً بدلاً من عاقل، ويسمي رسالته "الأغلال والسلاسل" إعلانا عن محاكمة هذا الرجل، وتسفيه فعله، والتشنيع بصنيعه.

وقد كان موفقا في ردوده، دامغاً الحجج التي ادعاها "عاقل"، مبينا سقطاته اللغوية والأسلوبية، مما يؤكد مكانته الأدبية، ومقدرته البيانية، وسعة اطلاعه، وغزارة علمه، من خلال هذه الرسالة الأدبية.

التعريف بالمخطوطة:

هذه المخطوطة محفوظة بدار الكتب والوثائق القومية تحت رقم (٨) أدب في الخزانة التيمورية، والميكروفيلم المصور عن نسختها المخطوطة يحمل رقم (٣١٦٤٤)، ومكتوب على ورقة الغلاف منها: "هذه رسالة تسمى الأغلال والسلاسل في مجنون اسمه عاقل للشيخ حسن قويدر".

وأولها: "يقول العبد الذي ظنه في الله حسن، الملقب بقويدر، المسمي بحسن، قد حضر بعض الأحباب، وألقي إلي هذا الكتاب، والتمس مني أن أنوب عنه في رد الجواب، فإذا هو من صاحب له اسمه عاقل، وفيه قصيدة سرقها، نسبها لنفسه بالزور والباطل....".

وفي آخرها: "فإذا نظر الإنسان لعلمه، فرب علم أورث صاحبه يوم القيامة حسرة، وإن في ضلال إبليس مع علمه لعبرة، وإذا نظر إلى عمله، فمدار العمل على القبول، والقبول مجهول لنا فماذا نقول؟، رزقنا الله حسن الخاتمة إذا العمر انتهى، وجعلنا ممن إذا أمر ائتمر، وإذا نهى انتهى"

ذكرها صاحب كتاب "إيضاح المكنون ذيل كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون" فقال: رسالة الأغلال والسلاسل في مجنون اسمه عاقل للشيخ

حسن قويدر بن على الخليلي ثم المصري، المتوفي سنة (١٢٦٢هـ) اثنتين وستين ومائتين وألف"[١].

كما ذكرتها جميع الكتب التي ترجمت للشيخ "حسن قويدر" ضمن مؤلفاته التي ألفها.

(١) إيضاح المكنون ذيل كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون للقسطنينطي الرومي جـ٣ ص٥٥٩، وانظر كذلك: فهرست المخطوطات المصورة جـ ١ ص٤٩، (الأدب)، القسم الثاني (أ –خ) رقم (٩٧٤)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة ١٩٧٩م.

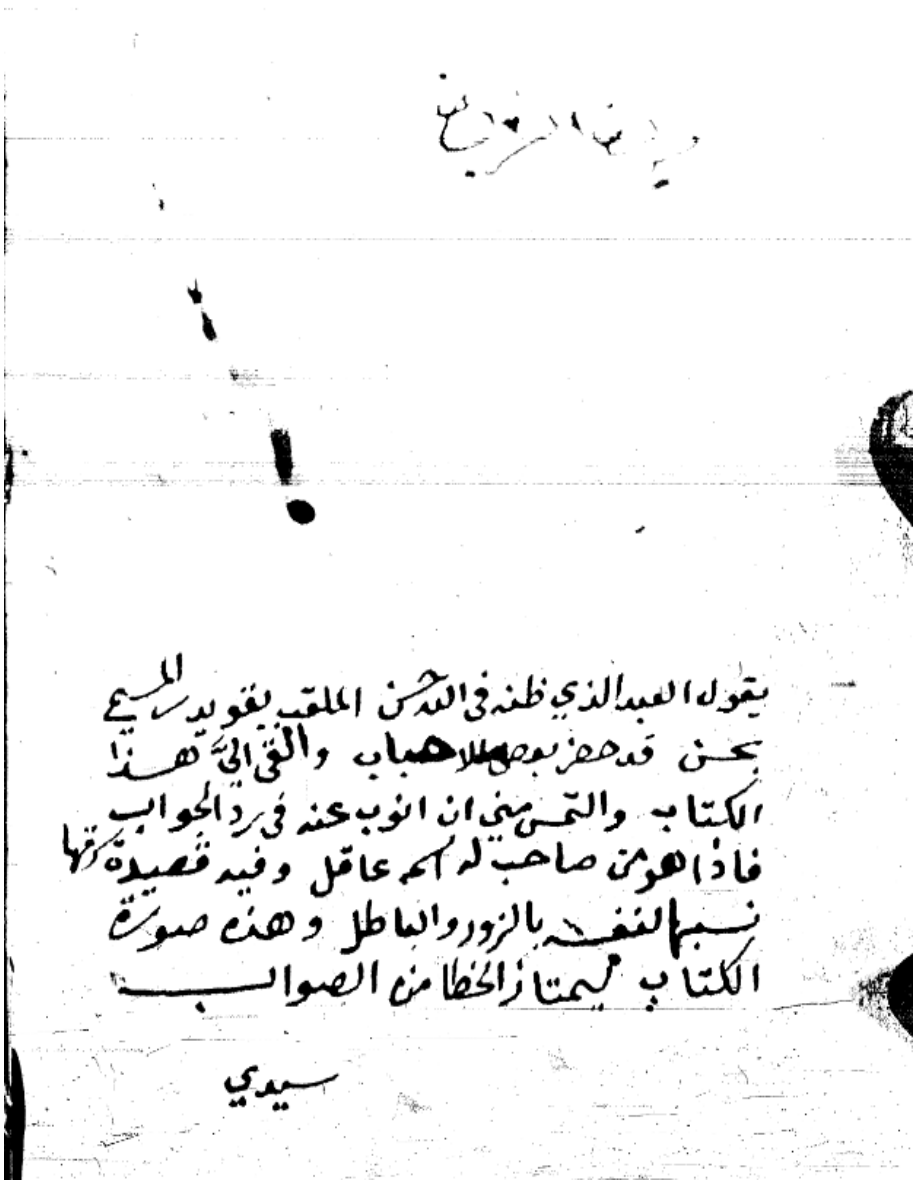

يقول العبد الذي ظنه في الله حسن الملقب بقويدر المسيح
بحسن قد حضر بعض هذا الجواب والذي إلي هذا
الكتاب والتمس مني ان انوب عنه في رد الجواب
فاذا هو من صاحب له اسمه عاقل وفيه قصيدة رقمها
نسبها الغفلة بالزور والباطل وهذه صورة
الكتاب ليميز الخطأ من الصواب

سيدي

(الصحة الأولى من المخطوطة)

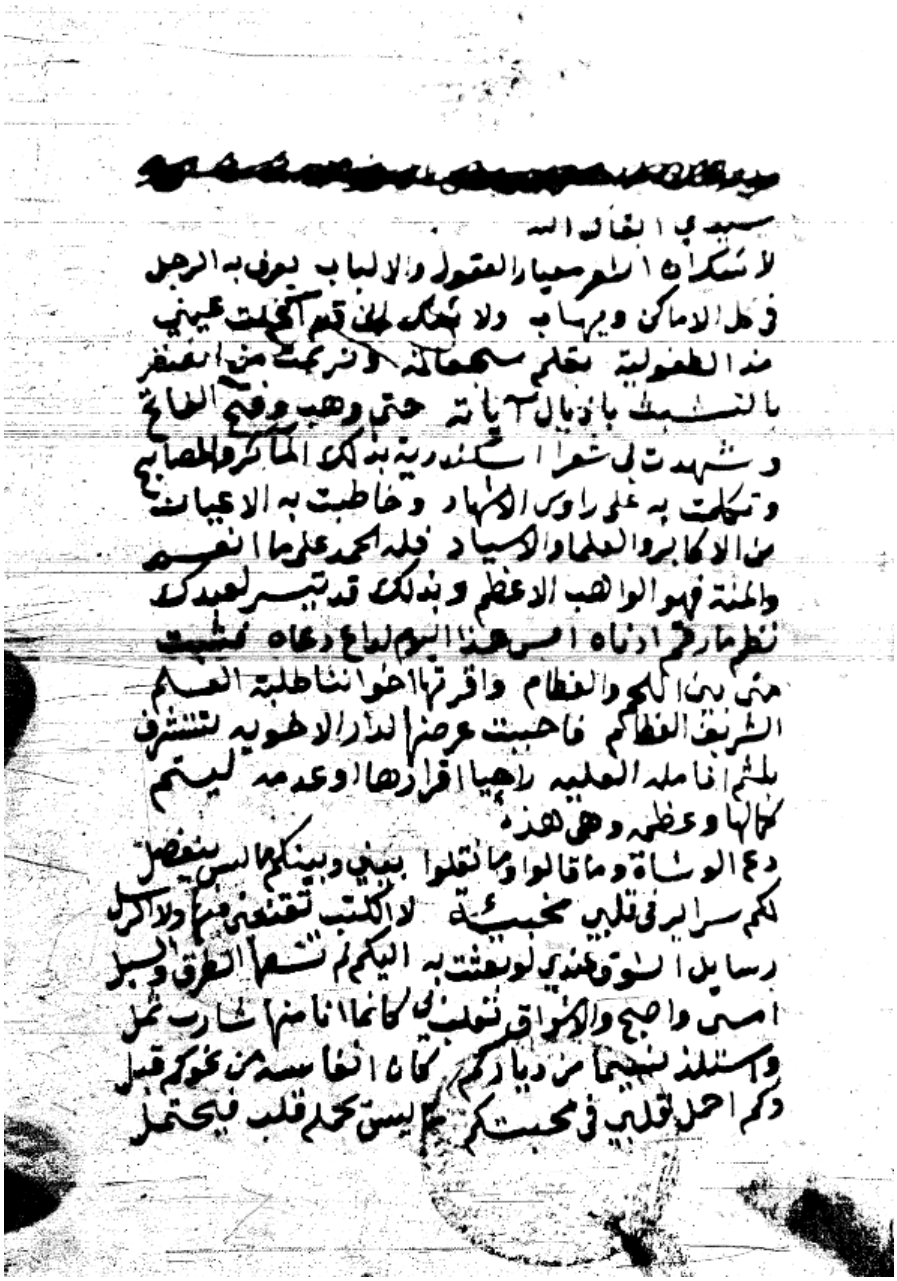

(الصفحة الثانية من المخطوطة)

(الصفحة الأخيرة من المخطوطة)

موازنة فنية :

يقوم هذا الجزء من الدراسة على عقد موازنات فنية بين طرائق التعبير وأنماط الأسلوب، وسماته الفنية المستخدمة لدى كلا الطرفين فى الرسائل الحوارية المتبادلة بينهما ، التى تحتوى عليها هذه المخطوطة ، لبيان مقدرة كل منهما من الناحية الأدبية ، ومدى تأثير ذلك فى مناقشة الحجج و الآراء ، والوصول بها إلى مرحلة الإقناع والتسليم .

وتدور هذه الموازنة حول محورين ، الأول يتناول السمات الأسلوبية كالتناص بأنواعه ، واستخدام أسلوب التهكم والسخرية ، والاعتماد على أساليب الإقناع العلمى ، مثل استخدام المصطلحات العلمية ، وتفصيل المسائل وكثرة الشواهد والأدلة ، وتوثيق الأقوال والنصوص ، والثانى يتناول السمات الإيقاعية ، كالسجع والجناس والطباق من المحسنات البديعية التي تعمل على تزيين الأسلوب وتنميقه ليكون أكثر إثارة وجاذبية .

المحور الأول : السمات الأسلوبية :

أولاً : التناص :

يعد هذا المصطلح أحد المصطلحات الأدبية المستحدثة ، ويدل– كما يفهم من المعنى اللغوي له – على وجود تفاعل بين النصوص ؛ لأن الأديب لا يمكنه الهرب من موروثه الأدبى والعلمى بأى حال ؛ فهو مطاردٌ به يندفع نحوه مجبرًا

على تحسس خصائصه ، وربما اصطدم بكلمات تم الاستحواذ عليها فى السابق[1] .

وقد أطلق عليه البعض : تداخل النصوص ، أو تناصصها ، أو النصوصية ، أو التناصية ، وهو فى ذلك كله يعد تطورًا عن مصطلحى : الاقتباس ، والتضمين .

ومن أنواع التناص التى وردت فى رسالة الأغلال والسلاسل ، ما يمكن تسميته بالتناص القرآنى ، وأيضًا التناص مع الأقوال المأثورة ، ومن التناص القرآنى قول " محمد عاقل" :« وكم للناس من غرائب ، فمن ذلك أنه ألقى إلى كتاب كريم ، من ولى حميم » ، فقوله : ألقى إلى كتاب كريم ، فيه تناص مع قول الله ﷻ ﴿ الإِسْرَاءِ الْكَهْفِ مَرْيَمَ طٰهٰ الأَنْبِيَاءِ الْحَجِّ الْمُؤْمِنُونَ النُّورِ ﴾[2]

وفى قوله : ولى حميم ، تناص كذلك مع قوله تعالى ﴿ النِّسَاءِ الْمَائِدَةِ الأَنْعَامِ الأَعْرَافِ الأَنْفَالِ التَّوْبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الْحِجْرِ ﴾[3] .

ومنه قوله :« فوجَّهت وجهى تلقاء ذلك الكتاب » ، فإنه يتناص مع قوله تعالى ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ ﴾[4] ، وحينما يقول مخاطبًا الشيخ " حسن قويدر " :« والأدهى والأمر ما كتبته على أسياد ....» يكون قد

---

(١) انظر : التناص الشعرى : قراءة أخرى لقضية السرقات د/مصطفى السعدنى صـ٧١ وما بعدها، منشأة المعارف – الإسكندرية ١٩٩١م .
(٢) سورة النمل : الآية (٢٩) .
(٣) سورة فصلت : من الآية (٣٤) .
(٤) سورة النمل : من الآية (٢٢) .

تناص مع الآية الكريمة ﴿ الْجِنَّ الْمُزَّمِّلُ الْمُدَّثِّرُ الْقِيَامَةِ الْإِنسَانِ الْمُرْسَلَاتِ ﴾[1] .

وهو موروث من لغة القرآن الكريم ، لا يمكن أن يستغنى عنه ، يأتى فى الأسلوب عفو الخاطر ، ويقع فيه موقعًا حسنًا مستملحًا .

ومن التناص القرآني فى كلام الشيخ " قويدر " ، على سبيل السخرية برسالة صاحبه :« ونبذتها فى عراء الإهمال ، وقلت إن اشتغالى بردها فيه ضياع للعمر المحصور ، وما أنت بمسمع من فى القبور » ، فصدر هذا الكلام يتناص مع الآية الكريمة فى سورة الصافات ﴿ سُبْحَانَ فَاطِرِ يسٓ الصَّافَّاتِ ﴾[2] ، وعجزه يتناص مع قوله تعالى ﴿ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمِ ﴾[3]، وفى قوله :« وقد صعَّرتَ وجهك مع من تبع رأيك....» تناص مع قوله تعالى ﴿ الْمُدَّثِّرُ الْقِيَامَةِ الْإِنسَانِ الْمُرْسَلَاتِ ﴾[4]، وأيضًا فى قوله: « ولا تطع النفس الأمَّارة » تناص مع قوله تعالى ﴿الرَّحِيمِ **قال تعالى**: ﴾ ﴿ ﴾[5] .

هذا ، والتناص القرآنى يؤكد الصلة الوثيقة بين الأسلوب وبين القرآن الكريم ، كما أنه يضفى على التعبير بهاء ورونقًا ، ويمده بمعين لا ينضب من الألفاظ والعبارات السهلة فى قرب مأخذها ، وبلوغ تأثيرها ، الممتنعة فى إعجازها وترابطها ، وبلاغة تركيبها ، وقوة بيانها .

---

(١) سورة القمر : الآية (٤٦) .
(٢) سورة الصافات : الآية (١٤٥) .
(٣) سورة فاطر : من الآية (٢٢) .
(٤) سورة لقمان : من الآية (١٨) .
(٥) سورة يوسف : من الآية (٥٣) .

ويتلامس أسلوب الأديبين عن طريق التناص مع الأقوال المأثورة ، التى اتسقت مع العبارة ، وزادتها قوة وتأكيدًا ، كقول " محمد عاقل " : « ومن العجائب أن سيدى حين اعترض على زيادة الألف نقص ألفًا من ألف ، فذكرت قول الناس : من طلب الزيادة وقع فى النقصان » ، وهذا من كلام العرب : أسرع فى نقص امرئ تمامه ، ومعناه كما جاء فى " مجمع الأمثال " أن الإنسان إذا وصل إلى التمام أخذ بعده فى النقصان(١) .

ومن أمثلة هذا النوع فى كلام الشيخ " قويدر " قوله لصاحبه :« دعنا من هذه الإمارة ، ولا تطع النفس الأمارة ، ورحم الله امرءا عرف قدر نفسه » ،حيث يتناص فيه مع القول المأثور عن " عمر بن عبد العزيز " ﷺ :« رحم الله امرءا عرف قدر نفسه »(٢)، فقد نسب هذا القول إلى خامس الخلفاء الراشدين ، وشاع وكثر استخدامه على ألسنة العامة والخاصة .

وفائدة التناص فى الأسلوب أنه يكون سببًا فى إشاعة أجواء جديدة للنص ، وإكسابه معانى إضافية ، يعجز النص الأصلى عن إشاعتها بمفرده ، أو تكون إشاعتها دون القوة المرجوة ، إذا لم تتم الاستعانة بالنص المتضمن ، بالإضافة إلى وجود بعض المقاصد التقليدية المتوخاة من عملية التناص ، كالتمثيل والاستشهاد والاقتباس (٣) .

---

(١) مجمع الأمثال للميدانى ج"١" صـ٣٤٣ ، تحقيق/محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار المعرفة – بيروت (د .ت) .

(٢) انظر : فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوى ج"٤" صـ٢٩ ، تحقيق/ماجد الحموى ، المكتبة التجارية الكبرى – مصر ، الطبعة الأولى ١٣٦٥هـ .

(٣) انظر : التناص نظريا وتطبيقيا ، أحمد الزغبى صـ٩ ، مكتبة الكتانى – أربد – الأردن ، الطبعة الأولى ١٩٩٥م .

وقد لحظت كثرة استخدام التناص القرآنى الذى يؤكد جانب الأصالة لدى الكاتبين ، ويعطى أسلوبهما روحًا ذات قداسة وبهاء ، وليس ذلك إلا نتيجة طبعية لتعلمهما فى الأزهر الشريف ، وحفظهما القرآن الكريم منذ نعومة أظفارهما .

ثانيًا : استخدام أسلوب التهكم والسخرية :

لقد كانت السخرية ومازالت من العناصر التى تلفت نظر الباحثين والنقاد فى الأساليب الأدبية لبعض الكتاب ، فإذا أريد وصف أديب بما يعنى خفة الظل ، وبقربه إلى نفوس القراء ، قيل عنه ، إنه يستخدم السخرية فى كتاباته ، أو هو أديب ساخر ، وقد يوصف الأسلوب بأنه أسلوب ساخر ، أو العبارة بقولنا : عبارة ساخرة .

وقد اتخذ منها الفلاسفة والأدباء أداة يستخدمونها فى دقة لبيان رأيهم فى الخرافات السائدة أو المذاهب التى يختلفون معها ، ويهزءون بها ، كما لجأ إليها رجال السياسة في التندر بخصومهم ، وما يمثلون من أفكار أو مبادئ[1].

ولقد نتج عن الجدل والمناظرة والنقد الدائر بين الكاتبين صراع تمظهر فى استخدام الأسلوب الساخر فى مخاطبة كلاهما الآخر ، ولكن هذه السخرية – كما هو واضح – لم تكن تصدر عن أحقاد شخصية ، أو ضغائن ذاتية ، وإنما كانت مرتبطة بنقد الأفكار والمسائل العلمية ، ومن ثم فهى تندرج تحت ما يسمى بالسخرية النقدية .

---

(١) انظر : السخرية فى أدب المازنى د/حامد عبده الهوال صـ١٥، ١٧ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢م .

ونظرة عامة إلى الرسائل المتبادلة فى هذه المخطوطة تبين أن الصراع قد أخذ الشكل الهرمى ، حيث نشأ هادئًا ، ثم أخذ يحتدم ويلتهب فى الرسالتين الأخيرتين ، حيث زادت أساليب السخرية فيهما أكثر من ذى قبل ، بينما كان التلطف فى الأسلوب مظهرًا من مظاهره في أول الكلام، وما ورد فيه من بعض الكنايات ، لا يصل إلى حد الهزء والسخرية ، كقول الشيخ " قويدر " :« ولم تراع السجع لبلاغتك » ، وقوله :« وأظنك يا سيدى كنت تلعب حين أبدلت هذا اللفظ من القصيدة بتعلب » .

ولعل هذه التعاريض الخفيفة قد استفزت " محمد عاقل " ، فزادت أسلوبه حدة وقسوة ، ولذلك كان مما قال لصاحبه :« ...فالاعتراض عليه تخليط أو ذهول ، وليت سيدى ترك جميع ما فعل ، فأراح واستراح ، ولعله إذ ذاك كان فى المستراح » .

وجاء فى كلامه :« والعاقل فى عقال ، وما كل ما يعلم يقال » يعرض بالشيخ، وأيضًا :«ولقد كان يخطر فى نفسى حين أسمع العلماء يقولون فاء الفصيحة، هل هناك واو فضيحة أيضًا ؟ » .

ففتح " عاقل " بذلك على نفسه بابا لا قبل له به من السخرية النقدية ، لأن مكانة الشيخ " حسن قويدر " العلمية والأدبية ، كانت تحتم على مثل "عاقل" أن يكون أكثر تأدبًا وتلطفًا ، فلما لم يفعل كان أسلوب الشيخ " قويدر " سهامًا مصمية حملت كثيرًا من التهكم والسخرية منه، فنجد ذلك فى قوله :« لو كنت عاقلاً ما استنصرت بمن عمد لسهم عنقك فراشهُ ، وألقيت نفسك فى نار الملام كأنك فراشة » ، وفى قوله :« ومن الغواية عذل من لا يرعوى عن جهله ، وخطاب من لا يفهم » ، وكذلك قوله :« هذا من جملة فصاحتك أيها الظالم المتعدى ، فلم تفرق بين اللازم والمتعدى » .

وقوله :« ولقد عجبت منك ومن حالك ، ومن سواد قلبك الحالك » ، وقوله : « أليس من القباحة ، سارق وذو وقاحة ، مع أن السرقة تذل النفوس ، وتنكس الرءوس » .

والأمثلة فى أسلوب الشيخ كثيرة ، فلا تكاد تخلو فقرة فيه من هذا الأسلوب الساخر العنيف ، وحسبه أن قمة الهرم لهذا الأسلوب لم تكن إلا فى رسالته الأخيرة ، بعدما وجد من صاحبه – وهو لا شك أقل منه علمًا وفضلاً ، وأصغر منه سنًا كذلك – مخاطبة الند للند والنظير للنظير ، في سوء أدب ظاهر ، وتبجح فى الدفاع عن باطل كان الأولى به أن يعتذر منه ، ولذلك كان الشيخ محقًا فى استنكاره وتعجبه من وقاحته مع أنه سارق للقصيدة التى يتغنى بها فى كل محفل ويفتخر بها فى كل ميدان .

ثالثًا : أساليب الإقناع العلمى :

رغم ما يزخر به أسلوب الشيخ " حسن قويدر " من سخرية وتهكم وسجع وجناس وطباق وقصر العبارات وغير ذلك ، فإنه حافل باستخدام الأساليب التى تؤدى إلى الإقناع العلمى بالفكرة أو المسألة المطروحة ، وينوع فى هذا الأسلوب ، فتارة يستخدم المصطلحات العلمية التى أصَّلها واستعملها العلماء فى السابق ، وتارة يلجأ إلى أسلوب البسط والتفصيل والعرض المتأنى ، وإيراد الشواهد والأدلة ، وتارة يقوم بتوثيق الأقوال والآراء المختلفة ، ونسبة النصوص العلمية إلى أصحابها .

وإذا كان الأسلوب المرسل البعيد عن السجع والجناس والمحسنات ، أقرب إلى طبيعة العرض العلمى الهادئ ، فإننا نلحظ أن أسلوب السجع والمجانسة لم يَحُلْ دون معالجة القضايا العلمية التى اشتمل عليها الكلام ، فكان الشيخ –

رحمه الله – يؤثر الأسلوب الأدبى المحترف فى كتبه ومؤلفاته ، فيزاوج بين الصنعة فى الكتابة وبين التركيز على المسائل العلمية ، وكان فى رعايته الأمرين معا تشويق وإثارة تميز بهما أسلوبه .

ومن المصطلحات العلمية التى استخدمها الشيخ " قويدر " فى رسالته: السجع، والانتحال، والتحريف، والكسر أى كسر الوزن العروضى ، وفساد المعنى والمشاكلة ، وتوافق الخواطر أو تواردها(١) ، والفصاحة والبلاغة والمجاز وغيرها من المصطلحات الأدبية إضافة إلى بعض المصطلحات الفقهية والنحوية .

وكان للمصطلح العلمى دور كبير فى الأسلوب جعله أسلوبا علميًا يتسم بالعمق والفكر والبعد عن التعبير عن العواطف والمشاعر الذاتية ، ومن ذلك قوله فى نقد رسالة " عاقل " ووصفها ببرودة الألفاظ وفساد التراكيب واختلال المعانى : « هذا وما رأيت أجمع من صحيفتك للألفاظ الباردة ، ولا أحصى منها للتراكيب الفاسدة والمعانى المختلة ....» .

ويتحدث عن علاقة اللفظ بالمعنى فيقول :« لا يستقيم معنى اختل لفظه ؛ لأن اللفظ جسم والمعنى روح له ، ولا قيام للروح بغير جسم كما لا نفع فى جسم بلا روح »

ومن أساليب الإقناع العلمى التى استخدمها الشيخ فى رسالته أسلوب العرض المتأنى والتفصيل والتوضيح لبعض المسائل التى ناظره فيها خصمه ، وحاول تفنيدها والطعن فى صحتها ، ومنها مثلا إثبات أن " كحَّل " فعل ثلاثى متعد

(١) توارد الخواطر بمعنى مجيئها على سبيل الاتفاق من غير قصد إلى الأخذ والسرقة. (الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني تحقيق الشيخ/بهيج غزاوى ، دار إحياء العلوم – بيروت ، الطبعة الرابعة ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

بنفسه ، وأن تضعيف عينه إنما هو لأجل التكثير لا للتعدية ، وأنه لم يسمع " أكحل " حين إرادة التعدية .

ومنها كذلك إثبات أن "سيِّد" تجمع على سادات وسادة وليس على أسياد ، فإنها جمع سِيد بكسر السين وإسكان الياء وهو الذئب .

وفى هذه المسائل وغيرها يكون عمدته فى توضحيها وإثباتها سوق الشواهد الكثيرة التى تؤكد كلامه ، وتقوى حجته ، وتدل على سعة اطلاعه وغزارة علمه باللغة ، وصلته المتينة بالتراث .

وكان إنكار الخصم ومجادلته فى بعض الأمور الواضحة والمسائل الظاهرة سببًا فى التزام الشيخ بتوثيق النصوص ونسبة المعلومة إلى مصادرها ، كقوله :« وفى القاموس : المفتح كمسكن الخزانة والكنز والمخزن ، وجمع مفتاح مفاتيح ، وجمع مصباح مصابيح ، وأما مصابح بغير ياء فهى الأقداح التى يصطبح بها كما فى الصحاح »، وقوله :« قال الجوهرى فى صحاحه : ساد قومه يسودهم سيادة وسوددا وسيدودة ، فهو سيدهم ، وهم سادة ، تقديره : فَعَلة بالتحريك ، لأن تقدير سيد فعيل ، وهو مثل سرى وسراة ، ولا نظير لهما ، يدل على ذلك أنه يجمع على سيائدة بالهمزة ، مثل أفيل وأفائلة ، وفى جامع اللغة : ساد قومه من باب كتب ، وسُوددًا أيضًا بالضم وسيدودة بالفتح ، وهو سيد والجمع سادة ، وعبارة المختار مثلها حرفا بحرف ».

وكلام الشيخ حجة فى ذاته ، غنى عن إقامة البرهان ، وعرض الدليل والبيان ، فما كان له أن يعتمد هذا الأسلوب فى رسالته لولا إنكار صاحبه ، وإتيانه بكلام يوهم الصواب فى الظاهر .

المحور الثانى : السمات الإيقاعية :

أولاً : السجع :

تسير المخطوطة فى لغتها على وتيرة مسجوعة ، سواء فى رسائل " محمد عاقل " أو فى رسائل الشيخ " حسن قويدر " ولعل الرسالة الأولى التى وردت إلى الشيخ " قويدر " من صاحبه هى التى فرضت هذه اللغة على ما تبعها من رسائل ، لأنها وردت مسجوعة ، فكان الرد عليها كذلك ، ثم سارت فى تتابع ملتزمة بالسجع وهو تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد(١) .

وكان الشيخ أكثر علما بهذا الفن القائم على تسكين أعجاز الكلام وهو يخاطب " عاقل " ، ويتحدث عن رسالته فيقول:« عشقها قلب العبد وألف ، لاسيما وقد زدت فى أكحلت ألف » ، حيث وقف على كلمة " ألف " بالتسكين مع أنها منصوبة رعايةً للسجع ، وهذا ما يجعل قول " عاقل " :« ومن العجائب أن سيدى حين اعترض على زيادة الألف ، نقص ألفا من ألف » قولا باطلا ، ونقدا فى غير محله ، لا يقوم على معرفة الأساليب العربية الفصيحة فى توظيفها لهذا المحسن البديعى ، إذ الكلام المسجع مبنى على الوقف، وكلمات الأسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الأعجاز موقوفا عليها ، إذ لو ظهر الإعراب بوصل الكلام لفات ذلك الغرض ، وضاق ذلك المجال على قاصده، كما في خزانة الأدب للبغدادي(٢) .

يقول الشيخ :« نعوذ بك اللهم من زلة عاقل ، فإنها المعرة الفاضحة ، ونلجأ إليك من مجادلة جاهل يكابر فى الأمور الواضحة ، ونعتصم بك من قوم عدموا الألباب ، وضلوا عن الباب ، ورأوا الخطأ عين الصواب ....» .

---

(١) انظر : الإيضاح فى علوم البلاغة للخطيب القزوينى صـ٣٦٢.

(٢) انظر : خزانة الأدب للبغدادى ج"٢" صـ٤١٣ ، تحقيق/محمد نبيل طريف ، وإيميل بديع اليعقوب ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٨م .

ويقول " عاقل " فى بداية إحدى رسائله :« سبحان من تنزه عن الأغراض ، فلا يتوجه إليه اعتراض ، سبحانك ربى ما أعظم مجدك ، وما أعجب ملكك وجندك ...»

وهذا التناسق بين الجمل والتساوى بين العبارات الذى أحدثه السجع ، قد جعل اللغة أخف على الأسماع ، وأكثر تشنيفا للآذان ، وأشد لفتا للانتباه من اللغة المرسلة ، كما أنه فى الوقت ذاته يعد من الدلائل على براعة المتكلم وامتلاكه ناصية البيان ، لاسيما والمقام مقام استعراض ومباراة ومناظرة ، فكان لذلك أنسب من غيره فيه .

ثانيًا : الجناس :

كثر الجناس فى كلام الشيخ " قويدر " ، ولم يكن مجرد حلية شكلية أو زينة لفظية ، بل كان إضافة إلى ذلك عاملا من عوامل تأكيد المعانى وبيانها ، وشاهدا على قوة لغته ، وتماسك بنيانها ، وسلاسة تركيبها .

يقول مخاطبًا خصمه:« لو كنت عاقلا ما استنصرت بمن عمد لسهم عنقك فراشه ، وألقيت نفسك فى نار الملام كأنك فراشة »، فجانس بين الفعل " راش" ، والاسم "فراشة " ، وبينهما اختلاف ظاهر فى المعنى .

وكذلك قوله :« توهمت أن مفاتح في الآية جمع مفتاح فهمت ، والأمر على خلاف ما فهمت » ، والفعل الأول " هام " من الهيام وهو الجنون وذهاب العقل تيها وإعجابًا ، والثانى " فهم " بمعنى أدرك وعقل ، ومنه كذلك قوله :« دعنا بالله من هذه الإمارة ، ولا تطع النفس الأمّارة » ، وقوله :« لعل سيدى شرب الراح ، والعقل منه راح » ، وقوله :« فبالله ما هذه البذاءة التى فيك ، والنجاسات التى تخرج من فيك » ، وقوله :« ولأى شئ ما حلفت اليمين ؟ ،

ولكن السارق إذا حلف يمين » ، وقوله : « رزقك الله العقل ولكن بعقال ، ما هذه الألفاظ التى لا تقال ؟ » .

والأمثلة لهذا اللون من المحسنات البديعية في كلامه كثيرة ، اكتسب منها إيقاعًا عذبًا رنانًا ، وتأكيدا وتقوية لما فيه من معان ، ولكنه ندر في كلام " محمد عاقل " ، وكان منه قوله :« ليت سيدى ترك جميع ما فعل ، فأراح واستراح ، ولعله إذ ذاك كان في المستراح ، فجعل مادته راسه لأنه لم يجد كراسه » .

ولعل السر في الجمال الذي يضفيه الجناس على اللغة أنه يُوهم تكرار اللفظ ، حتى يتأمله المتلقى ، ومن ثم يعرف أن الكلمة قد أدت معنى مختلفًا ، وأضافت إلى المحتوى الفكرى للألفاظ معنى جديدًا ، يرسخ ويتأكد ويقوى بسبب الجناس سواء أكان تاما أم ناقصا .

ثالثًا : الطباق :

الطباق أيضًا لون من ألوان المحسنات البديعية التى تؤدى دورًا جليلاً في وضوح المعانى وتميزها ، وهو يعنى التضاد والتقابل بين المعانى ، وقديما قيل: بضدها تتميز الأشياء ، فذكر اللفظ الثانى في مقابلة الأول يدل دلالة قاطعة على أن المتكلم يعي ما يقول ، ويقصد المعنى الذي جاء به قصدًا لا يعتريه نقص أو ضعف .

وإذا كان الطباق يؤدى وظيفة إيقاعية كذلك ، فليس المقصود بالإيقاع الذي يحققه الطباق التناغم القائم على القافية أو الوزن العروضى ، أو ما يسمى بالمستوى الإيقاعي السطحي الذي يظهر في الأصوات ، أو في الجمل التى يكون عمادها التحسين اللفظي ، بل المقصود هنا موسيقا الفكر أو الإيقاع

النفسى الممتد من المعانى المتغايرة ، فالحياة قائمة على قطبين تتراوح بينهما الأشياء ، وحينما يستخدم المتكلم أسلوب الطباق ، يصطدم القطبان ، فيتولد الإيقاع الذي تدركه الروح أكثر من الأذن(١) .

وأول ما يلفت أنظارنا في هذا العمل الأدبى للشيخ " حسن قويدر " عنوان رسالته الذي قال فيه :« الأغلال والسلاسل في مجنون اسمه عاقل » ، حيث نجد اغتنام الشيخ لاسم عاقل ، وتوظيفه في الطباق ، وإتيانه بكلمة " مجنون " التى تضادها في المعنى ، ليسلب من صاحبه هذا الوصف ، كأنه قال إنه لا نصيب له من اسمه فلا عقل له .

والطباق أقل ورودا في رسالة " الأغلال والسلاسل " من السجع والجناس ، وما ورد منه فيها كان من كلام الشيخ " قويدر " لا من كلام " محمد عاقل " ، ومن أمثلته كذلك قول الشيخ :« أف لهذا الطبع ما أغلظه ، يتخلص من مخففة ، ويُلقى نفسه في مغلظة » فطابق بين مخففة ومغلظة .

ومنها قوله :« وأطرفتنا بجامعة الأباطيل والأكاذيب ، ولو لم يكن من ثمراتها إلا امتياز السمين من الغث ، والجديد من الرث ، لكان ذلك كافيا...بيد أنى جمعت بها بين ضدين: ضحك السن وبكاء العين » ، فطابق بين السمين والغث ، والجديد والرث ، والضحك والبكاء ، والتضاد بينها في كل واضح كل الوضوح، وفيه إيقاع ترتاح إليه النفس ، وتحب سماعه ، نشأ عن حالة المراوحة بين المعنى وضده في الكلام ، لكن الإيقاع الناشئ عن السجع والجناس أكثر ظهورا لكونه تطريبا حسيا مرتبطا بالألفاظ .

(١) انظر : فن الطباق فى أدب التوقيعات د/منيرة فاعور صـ١٤٣، مجلة جامعة دمشق ، المجلد ٣٠، العدد ١+٢ لسنة ٢٠١٤م.

خلاصة :

كانت لغة الشيخ " قويدر" أقوى وأجمع لعناصر الجمال والحسن والسلامة من لغة "عاقل " ، فقد حوت كثيرًا من السمات الأسلوبية التى بلغت بها حد الإجادة والإتقان كالتناص وإيثار الأسلوب العلمى الذي يعتمد على الإيضاح والتفصيل والاستشهاد واستخدام المصطلح العلمى ، كما حوت لغته كثيرًا من السمات الإيقاعية التى يرتفع بها شأن الكلام ، وتعمل على وقوعه في النفس موقعًا حسنا ، وكان حظ صاحبه أقل بكثير في هذا كله .

وقد نم المضمون الفكرى عن سعة اطلاع الشيخ " قويدر" وأفصح عن ثبات قدمه في ميدان العلم باللغة وفنون الكلام والأصول العلمية ، ودل على أنه أكثر دقة من صاحبه ، وأقوى أمانة ، لم يقم بالتمويه في الكلام أو الكذب فيه ، كما فعل خصمه مثلا حين قال له الشيخ :« وذكَّرت اسم الإشارة وحقه التأنيث»، مشيرًا إلى قول " عاقل " :« بذلك المآثر والمصابح » ، فإن " عاقل" ادعى أن الشيخ قال له : وأشرت للجمع بما للواحد ، وهذا ليس صحيحًا .

وقد بلغ من علم الشيخ أن يجاري صاحبه فيما ادعاه ، ويعمد إلى الأمثلة التى أوردها أدلةً على صحة الإشارة للجمع بما للواحد فيفندها ويؤولها ، فيقول: « على أن الذي عليه المعول أن ما أوهم الإشارة للجمع بما للواحد تأول » ، وينقل كلام المفسرين ، فيؤيد ما قالوه مثلا في قوله تعالى ﴿ الْمُنَافِقُونَ الْمُنَافِقُونَ ﴾[1] ، حيث قالوا : أى بين ما ذكر من الفارض والبكر ، وما ذكر مفرد .....إلخ ، فاستطاع أن يجاريه فى ادعائه الكاذب ، وكل ذلك وغيره يؤكد تفوقه من الناحيتين العلمية والبيانية .

(١) سورة البقرة : من الآية (٦٨) .

القسم الثاني

التحقيق

القسم الثاني: التحقيق:

يقول العبد الذي ظنه في الله حسن، الملقب بقويدر، المسمي بحسن[١]، قد حضر بعض الأحباب، وألقي إلى هذا الكتاب، والتمس مني أن أنوب عنه في رد الجواب، فإذا هو من صاحب له اسمه عاقل[٢]، وفيه قصيدة سرقها، نسبها لنفسه بالزور والباطل، وهذه صورة الكتاب، ليمتاز الخطأ من الصواب:

رسالة محمد عاقل إلى الشيخ حسن قويدر: [٣]

سيدي أبقال الله: لاشك أن الشعر معيار العقول والألباب، يعرف به الرجل في كل الأماكن ويهاب، ولاشك أني قد أكحلت عيني منذ الطفولية[٤] تعلم سجعاته، وترِعت[٥] من الصغر بالتشبث بأذيال آياته[٦]، حتى وهب وفتح الفاتح، وشهدت لي شعراء إسكندرية بذلك[٧] المآثر والمصابح، وتكلمت به على [رءوس][٨] الأشهاد، وخاطبت به الأعيان من الأكابر والعلماء والأسياد، فله الحمد على ما أنعم والمنة، فهو الواهب الأعظم، وبذلك قد تيسر لعبدك نظم ما

(١) يقصد نفسه: كاتب هذه الرسالة الشيخ حسن قويدر.
(٢) محمد عاقل كاشف زاده العمري المتوفي سنة ١٣٠٨هـ – ١٨٩٠م، انظر ترجمته في مطلع هذا البحث .
(٣) العنوان من وضع الباحث.
(٤) أي منذ طفولته ونعومة أظفاره.
(٥) تَرِع: امتلأ، وحوض تَرَعٌ ومُترعٌ أي مملوء. لسان العرب (ترع).
(٦) شبه الأبيات الشعرية بالآيات القرآنية.
(٧) هكذا في المخطوطة بتذكير اسم الإشارة (ذلك)، وهي من المآخذ التي سيكون حولها سجال فيما بعد، ومن ثم أثبتها كما هي على خطئها.
(٨) في المخطوطة: رواس.

رقم أدناه[١]، أمس هذا اليوم لداع دعاه[٢]، فثبت مني بين اللحم والعظام، وأقرتها إخواننا طلبة العلم الشريف العظام، فأحببت عرضها لدار الأخوية، لتتشرف بلثم أنامله العلية ، راجيا إقرارها أو عدمه، ليتم كمالها وعظمه[٣]. وهي وهي هذه[٤]

دع[٥] الوشاة وما قالوا وما نقلوا	**بيني وبينكم ما ليس ينفصل**
لكم سرائر في قلبي مخبأة	**لا الكتب تنفعني[٦] فيها ولا الرسل**
رسائل الشوق عندي لو بعثت به[٧]	**إليكم لم تسعها الطرق والسبل**
أمسى وأصبح والأشواق [تلعب بي][٨]	**كأنما أنا منها شارب ثمل**

(١) يعني القصيدة التي انتحلها ونسبها إلى نفسه، وهي في الحقيقة صحيحة النسبة إلى البهاء زهير الشاعر الأيوبي.

(٢)يريد أن ينفي عن نفسه تهمة السرقة، فيدعي أنه وجد في نفسه داعيا وباعثا على إنشاء هذه القصيدة.

(٣) الصواب أن يؤنث الضمير فيقول "وعظمها" كالضمائر التي سبقته، لأن حديثه عن القصيدة وهي مؤنثة، وهو من مآخذ الشيخ قويدر عليه.

(٤) هذه القصيدة مثبتة بنصها في ديوان بهاء الدين زهير ص٢٨٠، باستثناء بيت واحد ناقص بعد البيت السادس، وهو قوله:

وكم أصبره عنكم وأعذله ... وليس ينفع عند العاشق العذل

(٥) في الديوان: دعوا.

(٦) في المخطوطة: تقنعني.

(٧) في الديوان: بها.

(٨) في المخطوطة: تعلب بي، وهو تصحيف.

وأستلذ نسيما من دياركم ... كأن أنفاسه من نحوكم(١) قبل

وكم أحمل قلبي في محبتكم ... ما ليس يحمله قلب فيحتمل

وارحمتاه لِصَبٍّ قلَّ ناصره ... فيكم وضاق عليه السهل والجبل

قضيتي في الهوى والله مشكلة ... ما القول ما الرأي ما التدبير ما العمل؟

يزداد شعري حسنا حين أذكركم ... إن المليحة فيها يحسن الغزل

يا راحلين وفي قلبي مساكنهم(٢) ... فكلما (٣) انفصلوا عن ناظري اتصلوا

قد جدد البعد قربا في الفؤاد لهم ... حتى كأنهم يوم النوي وصلوا

أنا الوفي لأحبابي وإن غدروا ... أنا المقيم على عهدي وإن رحلوا

أنا المحب الذي ما الغدر شيمته(٤) ... هيهات خُلْقي عنه ليس(٥) ينتقل

فيا رسولي إلى من لا أبوح به ... إن المهمات فيها يعرف الرجل

بلغ سلامي وبالغ في الخطاب له ... وقبل الأرض عني عندما تصل

بالله عرفه عني (٦) إن خلوت به ... ولا تطل فحبيبي عنده ملل

---

(١) في الديوان: من نشركم.
(٢) في الديوان: يا غائبين وفي قلبي أشاهدهم.
(٣) في الديوان: وكلما.
(٤) في الديوان: ما الغدر من شيمي.
(٥) في الديوان: لست انتقل.
(٦) في الديوان: عرفه حالي.

وتلك أعظم حاجاتي إليك فإن ... تنجح فما خاب فيك القصد والأمل
ولم أزل في أموري كلما عرضت ... على اهتمامك بعد الله أتكل
وليس عندك في أمر أحاوله[1] ... والحمد لله لا عجز ولا كسل
فالناس بالناس والدنيا مكافأة ... والخير يشكر[2] والأخبار تنتقل
والمرء يحتال إن عزت مطالبه ... وطالما[3] نفعت أربابها الحيل
يا من كلامي له إن يستمعه يجد ... به كلاماً[4] على ما شاء يشتمل
تغزلاً [تخلب][5] الألباب رقته ... مضمونه حكمة غراء أو مثل
إن المليحة تغنيها ملاحتها ... لاسيما وعليها الحلي والحلل
دع التواني في أمرتهم به ... فإن [صرف][6] الليالي سابق عجل
ضيعت عمرك فاحزن إن حزنت له[7] ... فالعمر لا عوض عنه ولا بدل
سابق زمانك خوفا من تقلبه ... فكم تقلبت الأيام والدول
واعزم متى شئت فالأيام[8] واحدة ... لا الريث يدفع مقدوراً ولا العجل

(١) في الديوان: تحاوله.
(٢) في الديوان: يذكر.
(٣) في الديوان: وربما.
(٤) في الديوان: إن كان يسمعه يجد كلاماً.
(٥) في المخطوط: تجلب.
(٦) في المخطوط: صروف، وهو خطأ ينكسر به وزن البيت.
(٧) في الديوان: إن فطنت له.
(٨) في الديوان: فالأوقات.

لا ترقب النجم في أمر تحاوله ... فالله يفعل لا جدي ولا زحل[1]

مع السعادة ما للنجم من أثر ... فلا يضرك[2] مريخ ولا حمل[3]

الأمر أعظم والأفكار حائرة ... والشرع يصدق والإنسان ممتثل[4]

رد الشيخ "حسن قويدر" على محمد عاقل[5]:

فأجبته عجلاً، وقلت مرتجلا: [6]

وافت إلينا على كره محبرة ... بديعة الحسن لكن مسها الخجل

يا طالما كنت مشتاقا لرؤيتها ... إذ صار يضرب من دهر بها المثل[7]

أقول: كيف سبيلي في الوصول لها؟ ... ما الرأي في ذاك ما التدبير ما الحيل؟

حتى بعثتَ بها هيفاء مشرقة ... كأن ريقتها في ثغرها عسل

كانت جواهر ألفاظ مخبأة ... في الكنز فاستخرجتها السادة الأول[8]

---

(١) في الديوان: ولا حمل.

(٢) في الديوان فلا يغرك.

(٣) في الديوان: ولا زحل.

(٤) في الديوان: يمتثل .

(٥) العنوان من وضع الباحث.

(٦) هذا هو أول كلام الشيخ حسن قويدر في الرد على انتحال هذه القصيدة، وهو أبيات شعرية في ثياب قصصية، تقوم على الحوار التمثيلي بينه وبين هذه القصيدة التي أتت إليه حزينة مطرقة الرأس دامعة العين مما حل بها من هوان السرقة والانتحال.

(٧) يشير إلى أنه كان يشتاق إلى هذه القصيدة الغزلية، التي كان يضرب بها المثل في الرقة والبهاء.

(٨) يعني بالسادة الأول صاحبَ هذه القصيدة: بهاء الدين زهير، ورواة شعره من بعده.

لكـن أتـت في ثيـاب الحـزن مطرقـة ... برأسـها ودمـوع العـين تنهمـل

فقلت: لا تحزني، فقالت: ألست ترى ... تـداولتني في طـول المـدى الـدول

حتـى وصـلت لأقـوام لهـم همـم ... تحـت الثـرى ودعـاوى تحتهـا زحـل

يستقرضـون قـريض الشـعر واعجبـاً ... ويدعيـه الفتـى مـنهم وينتحـل

بالنقـل لا العقـل حرفـوا كلمـي ... وأوجبـوا كسـر قلـبي حينمـا نقلـوا

فقلت: بـالله طـيبي الـنفس وانشـرحي ... وسـامرينا ولا تـأسَـىْ بمـا فعلـوا

أتعجـبين وهـذا العصـر قـد كثـرت ... فيـه اللصـوص ولكـن أمـرهم جلـل

وكـل مـن يـدعي مـا لـيس يحسـنه ... بـالقول كذبـه في وجهـه العمـل[1]

إن الشـجاعة كـل النـاس تزعمهـا ... وفي الحـروب يـبين الفـارس البطـل

أما بعد، فقد وصلت من سيدي بطاقة، ما لأحد قدرة على أن يأتي بباب من أبوابها ولا طاقة، دهش العقل عند سماعها وحار، إذ أشبهت في ألحانها نغمات الأوتار، عشقها قلب العبد وألف، لاسيما وقد زدت في (أكحلت)[2] ألف[3]، ومن أعظم المعجزات تصحيفك الأبيات بالآيات، وسبحان المانح،

---

(١) أخذ معنى هذا البيت من قول "زهير بن أبى سلمي":

ومهما تكن عند امرئ من خليقة..... وإن خالها تخفي على الناس تعلم.

(ديوان زهير بن أبى سلمى ص١١١، تحقيق، على حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م).

(٢) على أن الصواب "كحل" بتضعيف عين الفعل، وليس بهمزة التعدية.

(٣) كلمة (ألف) حقها النصب، لكونها وقعت مفعولا به، ولكن جاز ذلك وقفا لتناسب السجعات.

جعلت من أسمائه تعالى الفاتح[١]، وذكرت اسم الإشارة وحقه التأنيت[٢]، كما هو واضح، حيث قلت: وشهدت لي شعراء إسكندرية بذلك المآثر والمصابح، ولست أدري ما مرادك بالكلمة الأخيرة[٣]، ولو حذفت لكان في حذفها ألف خيرة، وهل مرادك بها المصابيح فاختصرت، وياليتك اقتصرت[٤]، وما رأيت كلمة أفصح من قولك (الأخوية)، ولعلك زدت الياء مناسبة[٥]، لقولك العلية، وأنت أبو المناسبات[٦]، ونسأل المولي الثبات.

ومن العجب العجاب أن شهدت لك بالفضل الذئاب، لأن الأسياد[٧]، جمع (سِيد) بكسر السين وإسكان الياء وهو الذئب، فقد ظلمت هذا اللفظ وجلبت فساده، وأما جمع سيد بفتح السين وتشديد الياء فسادات، وإن شئت فسادة، وهل حسنت الختام باللحن في آخر الكلام، أو راعيت العربية، فنصبت الميم من

(١) حيث يرى أن أسماء الله تعالى توقيفية، وسوف يأتي تفصيل في هذه المسألة.
(٢) في قول محمد عاقل: "وشهدت لي شعراء إسكندرية بذلك المآثر والمصابح".
(٣) يقصد بذلك كلمة (المصابح) التي جاءت بمعنى المصابيح جمعا لمصباح، لكن هذا الجمع إن صح في مثل (مفاتح) ، فإنه هنا غير صحيح ، لأن مفاتح جمعا مفتح.
(٤) أي ليتك حذفتها لفسادها لغة ومعنى في سياقها.
(٥) أي الياء في كلمة (الأخوية)، لأنها زائدة لتناسب كلمة (العلية) بعدها، إذ الصواب فيها "الأخوة"، وليس الأخوية.
(٦) يتهكم به لزيادته بعض الحروف في آخر فقراته مراعاة للتناسب اللفظي دون مراعاة قواعد اللغة.
(٧) لم أقف على هذه الكلمة جمعا لسيد بكسر السين، كما أنها أيضاً ليست جمعا لسيد بفتح السين وكسر الياء المشددة، إذ لم ترد في كتب اللغة والمعاجم.

(عدمه)، ورفعتها من (عظمه) [١]، ولم تراع السجع لبلاغتك، وصار التفاتك للمعنى لا للألفاظ لكثرة براعتك[٢].

وأما القصيدة التي انتحلتها، ولنفسك نسبتها، فهي بين القصائد الشهيرة، كالشمس المنيرة، وليس في شهرتها شك ولا ريب، بعد أن حفظتها أطفال المدارس على ظاهر الغيب، وليس لك يا أخي فيها إلا تحريف جلب للمعنى الكساد، أو زيادة حرف دعا إلى الكسر والفساد[٣]، كقولك: رسائل الشوق عندي لو بعثت به، وصوابه بها[٤]، وكقولك: فإن صروف الليالي سابق عجل[٥]، وحقه: فإن صرف الليالي سابق عجل، وما كنت أعلم أن هناك واوا تسمى واو الكسر حتى رأيت هذه[٦]، وتركت الشين من بشيمته[١]، بلا إعجام[٢]، فهل

---

(١) في قوله: "ليتم كمالها وعظمه".

(٢) تارة يحاسبه على عدم عنايته باللفظ وإتيان الكلام مسجوعا بصورة صحيحة كما في هذا الموضع، وتارة يؤاخذه على عدم التفاته إلى المعنى، واطمئنان اللفظة في مكانها، مما يؤكد أنه صاحب مذهب لغوي يجمع فيه بين اللفظ والمعنى على أنهما وجهان لعملة واحدة لا تصح العناية بأحدهما دون الآخر.

(٣) أي إلى كسر البيت أو فساد معناه.

(٤) في البيت الذي يقول: رسائل الشوق عندي لو بعثت بها.... إليكم لم تسعها الطرف والسبل، فالقصيدة في الديوان بإثبات: لو بعثت بها، بدلا من (به)، ولا يصح أن يقال إن الضمير في (به) يعود إلى (الشوق) وليس إلى الرسائل، لأن المقصود في البيت كله (الرسائل) بدليل قوله (لم تسعها)، كما أن بين (الرسائل) و(بعثت) تناسبا في المعنى، ومراعاة نظير.

(٥) في قول بهاء الدين زهير: دع التواني في أمرتهم به.... فإن صرف الليالي سابق عجل، فإذا جاءت (صروف) محل (صرف) انكسر وزن البيت.

(٦) أي حتى رأيت واو كلمة (صروف) التي تسببت في كسر البيت، فهناك واو العطف، وواو القسم وواو رب وسواها، وليس هناك ما يسمى واو الكسر.

أنت من الأعجام[٣]، وأظنك يا سيدي كنت تلعب حين أبدلت هذا اللفظ من القصيدة بتعلب[٤]، ولكن مثل هذين ينسب الخطأ فيهما إلى القلم لا إليك، ويلام في ذلك عليه لا عليك، وأرجو من سيدي السماح، فما القصد إلا المزاح.

فأجاب "عاقل" المذكور، بجواب من كلام بعض المدرسين بالأزهر[٥]، هذه صورته:

رد "محمد عاقل" على الشيخ "حسن قويدر"[٦]:

سبحان من تنزه عن الأغراض، فلا يتوجه عليه اعتراض، سبحانك ربي ما أعظم مجدك، وما أعجب ملكك وجندك، فكم في الجند من عجائب، وكم للناس من غرائب، فمن ذلك أنه ألقى إلى كتاب كريم[٧]، من ولي حميم، يذكر فيه أنه قد أتته منى بطاقة، ما لأحد قدرة على أن يدخل بابا من أبوابها ولا طاقة، إلى آخر ما قال، فحدثت نفسي بالإعراض عن ذلك والإهمال، لأنه سفاهة ورعونة، وإن استحسنته طباع الذين يدعونه، لكن خشيت أن أنسب في ذلك للعجز والضعف، فإن في الناس من لا يعرف الفرق بين الأمام والخلف، فوجهت وجهي تلقاء ذلك الكتاب، فإذ هو أشبه بالسراب:

---

(١) في قول بهاء الدين: أنا المحب الذي ما الغدر شيمته..... هيهات خلقي عنه ليس ينتقل، حيث أورد "محمد عاقل" كلمة (شيمته) بدون نقط.

(٢) الإعجام: النقط، يقال أعجم الكتاب وعجمه: نقطة، لسان العرب (عجم).

(٣) الأعاجم: جمع عجمي أي الذي من غير العرب، لسان العرب (عجم).

(٤) في قول صاحب القصيدة: أمسى وأصبح والأشواق تلعب بي.... كأنما أنا منها شارب ثمل.

(٥) يدعي الشيخ "حسن قويدر، أن "محمد عاقل" ليس باستطاعته أن يجيب بهذا الجواب، وأن يدبج مثل هذا الكلام، وإنما هو مستعين فيه ببعض المدرسين في الأزهر الشريف.

(٦) العنوان من وضع الباحث.

(٧) اقتباس من قوله تعالى: "قالت يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم" (النمل آية ٢٩).

كلامك يا هذا كفارغ بندق كثير بلا جدوى، ولكن يفرقع[١]

لكن رأيت الأولى الاقتصار على نقض الاعتراض، والإعراض عما عداه كل الإعراض، فأقول ليته دخل الباب ساجدا، ولم يك راكعا ولا قاعدا[٢]، وليته لم يقل: أشبهت في ألحانها نغمات الأوتار وأصلح ما في كلامه من اللحن الذي يكال بالأرادب ويوزن بالقنطار، قوله: زدت في (أكحلت) ألفا، أقول: ما المانع من هذه الألف[٣]؟ حيث سمع التكحيل كقوله:

وكحل (مآقيك) [٤] الحسانَ بإثمد [٥]

فإن التفعيل والإفعال قد يكونان بمعنى واحد، كما في أنزل ونزَّل، قال تعالى: ﴿الْأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الْفَتْحِ الْحُجُرَاتِ قٓ الذَّارِيَاتِ الطُّورِ﴾ [٦]، وقال: ﴿الزُّمَرِ غَافِرٍ فُصِّلَتْ الشُّورَىٰ﴾ [٧]، وفي القاموس: اكتحلت الأرض بالنبات وكحَّلت وتكحَّلت وأكْحلَت واكحالَّت، وذلك حين تُرِي أولَ خضرة البنات. أ.هـ[٨]، ولا مانع من جعله من هذا المعنى، بأن يقرأ بتاء التأنيث الساكنة، وعيني فاعل،

---

(١) لم أقف على هذا البيت.

(٢) يتهكم بقول الشيخ "قويدر":"ما لأحد قدرة على أن يأتي بباب من أبوابها ولا طاقة".

(٣) يعني همزة التعدية في قوله (أكحلت).

(٤) في المخطوط: أماقيك.

(٥) من بيت حسان بن ثابت:

تناغ لدى الأبواب حوراً نواعما.....وكحل مآقيك الحسانَ بإثمد

(ديوان حسان بن ثابت جـ١، ص ٢٦، تحقيق د/ وليد عرفات، طبعة أمناء سلسلة جب التذكارية، لندن ١٩٧١م).

(٦) سورة الكهف آية (١).

(٧) سورة الفرقان آية (١).

(٨)القاموس المحيط للفيروزآبادي، فصل الكاف، مادة (كحل)، تحقيق/ محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثامنة ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

والمجاز لابد منه على كل حال، وشهرة الأول لا تمنع صحة الثاني[١]، ومن العجائب أن سيدي حين اعترض على زيادة الألف نقص ألفا من ألف[٢]، فذكرت قول الناس: من طلب الزيادة وقع في النقصان[٣]، ولغة ربيعة[٤]، أو رعاية السجعة في مثل هذا إنما يتمسك بها العجزة، وأما أمراء البلاغة المنقبون للاستدراك على غيرهم فلا.

وقوله: الأبيات بالآيات[٥]، هذا عندي من الترهات، فبالله دعنا من ترهاتك، وأسمعنا من هنيهاتك، فإن الاعتراض إنما يتوجه على الإنسان فيما هو من تصرفات الأذهان[٦]، وأما مثل سقوط حرف من كلمة أو تقديم حرف على آخر مع ظهور مراد المتكلم، فلا معنى للاعتراض به، والإنسان محل النسيان، على أن آيات صالحة هنا لو تُؤمل.[٧]

وكون أسماء الله توقيفيه مسألة خلافية[٨]: أجاز القاضي الباقلاني[١] إطلاق كل ما دل على كمال، ووافقه بعضهم بشرط وجود المادة في الشرع من

---

(١) يقصد بالأول (كحَّل)، وبالثاني (أكحل).

(٢) في قول الشيخ "حسن قويدر": "إذ أشبهت في ألحانها نغمات الأوتار، عشقها قلب العبد وألف، لاسيما وقد زدت في أكحلت ألف".

(٣)من أمثال العرب: أسرع في نقص امرئ تمامه، يعني أن الرجل إذا تم أخذ في النقصان، مجمع الأمثال للميداني جـ ١ ص ٣٤٣، تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت.

(٤)حذف التنوين مطلقا، والوقف بالسكون مطلقا هو لغة ربيعة. انظر: شرح التصريح على التوضيح للأزهري جـ٢ ص٦١٦، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

(٥)حيث أخذ عليه الشيخ قويدر قوله: "وترعت من الصغر بالتشبث بأذيال آياته".

(٦) أي ما يرد إلى الأفهام والعقول.

(٧) فيكون التعبير بآيات الشعر على المجاز تشبيها له بآيات القرآن.

(٨) مذهب أهل السنة والجماعة أن أسماء الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها، وعلى هذا فيجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة، فلا يزاد فيها ولا ينقص، لأن العقل

فعل أو مصدر، وأجاز الغزالي[٢]، الصفات ذوات الأسماء، وتوقف إمام الحرمين[٣][٤].

لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء، فوجب الوقوف في ذلك على النص. (القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى لابن عثيمين، ص١٣، الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة، الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م).

(١) القاضي الباقلاني: هو أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، قاض من كبار علماء الكلام، انتهت إليه الرئاسة في مذهب الأشاعرة، كان جيد الاستنباط، سريع الجواب، ولد في البصرة، وسكن بغداد، وتوفي فيها سنة ٤٠٣هـ – ١٠١٣م. (الأعلام للزركلي جـ٦ ص١٧٦).

(٢) الغزالي هو أبو حامد، محمد بن محمد بن محمد بن الغزالي، حجة الإسلام، فيلسوف متصوف، له نحو مائتي مصنف، من أشهرها: "إحياء علوم الدين"، و"تهافت الفلاسفة"، والمنقذ من الضلال"، مولده ووفاته في الطابران بخراسان، ونسبته إلى صناعة الغزل عند من يقول بتشديد الزاي، أو إلى غزالة من قرى طوس لمن قال بالتخفيف، رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد، فالحجاز فبلاد الشام فمصر، وتوفي سنة ٥٠٥هـ – ١١١١م. (الأعلام جـ٧ ص٢٢).

(٣) إمام الحرمين: هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين، أعلم المتأخرين من أصحاب الشافعي، ولد في جوين من نواحي نيسابور، كان يحضر دروسه أكابر العلماء، له مصنفات كثيرة منها: "العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية"، و"نهاية المطلب في دراية المذهب" في فقه الشافعية، اثنا عشر مجلداً، توفي سنة ٤٧٨هـ – ١٠٨٥م. (الأعلام جـ٤ ص١٦٠).

(٤) ورد هذا الاختلاف في كتاب "لوامع الأنوار البهية"، حيث يقول صاحبه تحت عنوان: "أسماؤه تعالى توقيفية": "فالجمهور منعوا إطلاق ما لم يأذن به الشارع مطلقا، وجوزه المعتزله مطلقا، ومال إليه بعض الأشاعرة، كالقاضي أبي بكر الباقلاني، وتوقف إمام الحرمين الجويني، وفصل الغزالي فجوز إطلاق الصفة، وهي ما دل على معنى = =زائد على الذات، ومنع إطلاق الاسم، وهو ما يدل على نفس الذات". (لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية لأبي العون شمس الدين السفاريني الحنبلي جـ١ ص١٢٥و ١٢٦ مؤسسة الخافقين – دمشق، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

والفاتح دل على كمال، ومن الصفات، وورد معناه في القرآن: ﴿ الْأَخْفَقِلِ مُحَمَّدٌ الْفَتَّاحُ الْحُجُرَاتِ قٓ الذَّارِيَاتِ الطُّورِ النَّجْمِ الْقَمَرِ ﴾[1]، والفرق بين الاسم والصفة جلي، كما في عبد الله اسما لمن سمّاه أبوه به، وصفة لكل مخلوق، على أن هذا الاسم قد استعمله قبلي من قال:

يا فاتحاً لي كل باب مُرتج[2] إني لعفو منك ربي مرتج[3]

وهو مشهور، وربما صاح به المؤذنون في الأسحار[4]، ولم يسمع لأحد عليه اعتراض ولا إنكار، ومن أعجب العجائب أن سيدي زاد في الطنبور[5] نغما، فذكر مع الاسم اسما، فاعترض على الفاتح، ووقع في مجانيق[6]، المانح[7]، فذكرت قول بعضهم: لأي شيء بائي تجر وباؤك لا تجر، وما كان

(١) سورة فاطر آية (٢).
(٢) أرتج الباب: أغلقه إغلاقا وثيقا، والرتَج، والرَّتاج: الباب العظيم، لسان العرب (رتج).
(٣) جاء هذا البيت في طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي في ترجمة العباس بن محمد المعرف بعباسة، منسوبا إليه، وروايته:
يا فاتحا لي كل باب مُرتج..... إني لعفو منك عني مرتج
بإثبات عني بدلاً من ربي. (طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، جـ٥، ص١٣٩، تحقيق د/ محمود محمد الطناحي، دار هجر، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ، ونسبه الشيخ قويدر فيما بعد إلى "عبد الله بن طاهر"، وهو ما لم أقف عليه).
(٤) أي على ألسنتهم فيما يقومون به من أدعية وابتهالات قبيل أذان الفجر.
(٥) الطنبور: آلة من آلات اللعب واللهو والطرب ذات عنق وأوتار. (المعجم الوسيط، تأليف/ إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وآخرين جـ٢، ص ٥٦٧، تحقيق مجمع اللغة العربية، دار الدعوة ٢٠١٠م.
(٦) مجانيق: جمع منجنيق (بفتح الميم وكسرها)، وهو القذاف التي ترمي بها الحجارة، لسان العرب (مجنق).
(٧) في قوله: "وسبحان المانح، جعلت من أسمائه تعالى الفاتح".

جوابك فهو جوابي[1]، وما أعجب حال سيدي بفعل ما ينكره، وينسى ما يذكِّره وهو يذكره، والإشارة للجمع بما للواحد أمر صحيح وارد في القرآن الكريم: ﴿الْحَدِيدِ الْمُجَادِلَةِ الْحَشْرِ الْمُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ الْجُمُعَةِ الْمُنَافِقُونَ﴾[2]، ﴿الْمَائِدَةِ الْأَنْعَامِ الْأَعْرَافِ الْأَنْفَالِ التَّوْبَةِ يُونُسَ﴾[3]، ﴿الْأَنْفَالِ التَّوْبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الْحِجْرِ النَّحْلِ الْإِسْرَاءِ الْكَهْفِ مَرْيَمَ طَهَ الْأَنْبِيَاءِ الْحَجِّ﴾[4]، ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قال تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ﴾[5]، ﴿[الزَّلْزَلَةِ][6] الْعَادِيَاتِ الْقَارِعَةِ التَّكَاثُرِ الْعَصْرِ الْهُمَزَةِ الْفِيلِ﴾[7].

والمسألة مشهورة، وفي أكثر الكتب المتداولة مذكورة، على أنه لا ضرورة إلى جعل المآثر مشاراً إليها، ما المانع من جعلها مفعولاً أو خبراً لمحذوف، وهو وإن كان بعيداً أولى من ادعاء الخطأ في التركيب، فعليك بالإنصاف.

وماذا في المصابح من العيب والله تعالى يقول: ﴿الْجُمُعَةِ الْمُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ﴾[8]، والأدهى والأمر ما كتبته على أسياد، فإن السِّيد على ما

(١) يعني ما رددت به عليَّ، هو نفسه ردي عليك في هذه المسألة.
(٢) سورة البقرة أية (٦٨).
(٣) سورة يونس آية (٥٨).
(٤) سورة البروج آية (١١).
(٥) سورة البينة آية (٨).
(٦) في المخطوطة: (إن)، وهو خطأ من الناسخ.
(٧) سورة الإسراء آية (٣٨).
(٨) سورة الأنعام آية (٥٩).

في القاموس: الأسد أو الذئب[١]، فالواجب على المعترض أن ينظر بعين الكمال، ويعرف أن المراد: شهدت لي بالفضل أسود الرجال، ويترك ذكر الذئاب، فإن هذا أمر يعاب، إذ لا قرينة نافية لذلك[٢].

وقول سيدي: إن جمع سيد بفتح السين وتشديد الياء (سادات)، وإن شئت فسادة، من عجائب الغرائب[٣]، بل من عظائم المصائب، فإن سيد صفة لمذكر عاقل، فجمعه إنما يكون بالواو والياء والنون مثل: ﴿ الْأَشْقَى الْبُرُوجِ الطَّارِقِ الْأَعْلَى ﴾[٤]، والمؤمنون هينون لينون[٥]، وأما سادات فإنما هو جمع لسادة كعادات وعادة، وآيات وآية، وغايات وغاية، وسادة جمع سائد بمعنى سيد كما في القاموس[٦]، وشاع نحو كامل وكملة[٧].

وكل من (عدمه وعظمه) منصوب لأنه مفعول[٨]، فالاعتراض عليه تخليط أو ذهول، وليت سيدي ترك جميع ما فعل فأراح واستراح، ولعله إذ ذاك

---

(١) في القاموس المحيط: السيد بالكسر: الأسد والذئب ص ٢٩٠.

(٢) لا قرينة نعم في سياق الكلام تنفي ذلك، لكن "محمد عاقل، فيما يبدو بوضوح، لم يكن هذا المعنى يخطر له على بال، وإنما هو قد تنبه إليه بما ساقه الشيخ حسن إليه من نقد.

(٣) في القاموس المحيط: السائد: السيد أودنه، وجمعه سادة. (انظر: ص٢٩٠).

(٤) سورة الزمر آية (٣٠).

(٥) في الحديث الشريف: "المؤمنون هيِّنون ليِّنون، كالجمل الأنِف، إن قيد انقاد، وإن أنيخ استناخ على صخرة". شعب الإيمان للبيهقي جـ١٠ ص٤٤٧، تحقيق د/ عبد العلي عبد الحميد حامد، ومختار أحمد الندوى، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

(٦) القاموس المحيط ص٢٩٠.

(٧) رجل كامل، وقوم كملة، مثل حافد وحفدة. لسان العرب (كمل).

(٨) في قوله: ليُتم كمالها وعظمه: فيكون الفاعل ضميرا مستترا وجوبا تقديره هو، وكمالها مفعولا به منصوبا، وعظمه معطوفا على كمالها.

كان في المستراح[١]، فجعل مادته رأسه، لأنه (لم) [٢] يجد كراسه، وإن كان ما قلته في شأن قصيدتي حقا، فهو أول دليل على فضلي، حيث اتفق خاطري مع خاطر شاعر فاضل[٣] قبلي ، فإني ما علمتها لأحد غيري، والسرقة إنما تثبت علي بإقراري، أو بمن يشهد بأني رأيتها أو سمعتها لا بمجرد حفظ غيري لها، ودعوى الشهرة إلى الحد الذي تدعيه كدعوى الضرورة في محل النزاع[٤]، وهي غير مسموعة.

وأطفال المدارس إن كان مرادك بهم أطفال المكاتب الذين يتعلمون القرآن فهو كذب لاشك فيه، وإن كان مرادك أهل الجامع الأزهر، فهؤلاء ليسوا بأطفال، بل هم كملة الرجال، وحفظهم لا تثبت به الشهرة لمثلي، لأني لست مثلهم في الحفظ والاطلاع، وإن كان مرادك مَنْ في المدارس الميرية[٥]، فهذا أمر تُغض دونه الأبصار، ﴿هُوَ يُوسُفُ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمُ الْحَجَرِ النَّحْلُ الْإِسْرَاءُ﴾ [٦]"، والعاقل في عقال[٧]، وما كل ما يعلم يقال[١]، وقول سيدي: صواب قولي:

---

(١) يقصد: في الأموات، أخذا من قول النبي ﷺ حينما مُر عليه بجنازة "مستريح ومستراح منه".. الخ. موطأ الإمام مالك جـ٢ ص٣٤٠، تحقيق/ محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، أبوظبي ، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

(٢) ساقطة من المخطوطة.

(٣) هو بهاء الدين زهير الشاعر الأيوبي، صاحب القصيدة الحقيقي.

(٤)من القواعد الأصولية: استحالة دعوى الضرورة من الخصم في محل الخلاف. (انظر: الأحكام للآمدي جـ٤ ص١١١، تحقيق د/ سيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ).

(٥) المدارس الميرية هي المدارس الحكومية، ويقابلها الأهلية.

(٦) سورة هود آية (١١٣).

(٧) أي في منعة من الوقوع في الزلل، وما سمى العقل عقلا إلا لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك، أي يحبسه (لسان العرب: عقل).

رسمت أشواق وجدي إذ بعثت به[٢]: بها، غير صحيح؛ فإن قبل الضمير (أشواق ووجد)، فإن ذكر فهو عائد على الوجد، وإن أنث فهو عائد على الأشواق، وهما بمعنى واحد، والإضافة للبيان.

وقوله: إن قولي: صروف حقه صرف، وإن واوه مستوجبة الحذف، وأنها تسمى واو الكسر، حقيق بأن يسمى بالهلس أو الفشر[٣]، ولقد كان يخطر في نفسي حين أسمع العلماء يقولون: فاء الفصيحة[٤]، هل هناك واو فضيحة أيضاً؟ فلما رأيت هذا المقال، علمت الجواب، وزال الإشكال، وإن كنت لصغر

---

(١) عن "جعفر الصادق" رضى الله عنه – أنه قال: "ما كل ما يعلم يقال، ولا كل ما يقال حضر أوانه، ولا كل ما حضر أوانه حضر إخوانه، ولا كل ما حضر إخوانه حضرت أحواله، ولا كل ما حضرت أحواله أمن عواره، فحافظ لسانك ما استطعت، والسلام". (الذخيرة للقرافي، ج١٣، ص٣٣٦، تحقيق/ محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٤م).

(٢) البيت في المخطوطة يقول:
رسائل الشوق عندي لو بعثت به..... إليكم لم تسعها الطرق والسبل
وفي الديوان: لو بعثت بها.

(٣) الهلس: يقال: رجل مهلوس العقل أي مسلوبه، ورجل مهتلس العقل: ذاهبه. لسان العرب (هلس)، وأما كلمة الفشر فهي كلمة عامية لم أجدها في معاجم اللغة، ومعناها الكلام الذي يفتقد إلى الصدق والصواب.

(٤) فاء الفصيحة سميت بذلك لأنها تفصح وتكشف عن المحذوف، وتدل عليه وعلى ما نشأ عنه، ولأنها أحياناً تفصح عن جواب شرط مقدر، مثل قوله تعالى: "وإذا استسقي موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا" (البقرة آية ٦٠)، فالأصل: فضرب فانفجرت، أو يقال: إن كان موسى قد أطاع الأمر وضرب الحجر، فماذا تم بعد ذلك؟ فالجواب: انفجرت منه اثنتا عشرة عينا. انظر: النحو الوافي، د/ عباس حسن جـ٣ ص٦٣٥و٦٣٦، دار المعارف، الطبعة الخامسة عشرة (د.ت).

سني[١]، لعبت، فغيري أيضا لعب، وما الحياة الدنيا إلا لهو ولعب، وتعلب: يحتمل أنه تحريف عن تعبث أو تلغب[٢]، فالحكم بأحدهما تحكم[٣]، وقد قلت سابقاً: إن مثل هذا لا ينبغي أن يذكر، ولا أن يكتب ويسطر، على أن تعلب هنا بمعنى صحيح، ويتعلق به الجار والمجرور، لأنه بمعنى ما ذكر على حد قوله:

أسد على وفي الحروب نعامة[٤]

ولكل شيء حد ينتهي إليه، والله حسبي واعتمادي عليه.

رد الشيخ "حسن قويدر" على كلام "محمد عاقل"[٥].

فأجاب كاتبه وجامعه بما صورته:

نعوذ بك اللهم من زلة عاقل[٦]، فإنها المعرة الفاضحة، ونلجأ إليك من مجادلة جاهل يكابر في الأمور الواضحة، ونعتصم بك من قوم عدموا الألباب، وضلوا عن الباب، ورأوا الخطأ عين الصواب، إذا الحق مَرَّ عليهم مُرَّ عليهم، وإذا نصحهم ناصح صار مبغضا لديهم، هذا وما رأيت أجمع من صحيفتك للألفاظ الباردة، ولا أحصى منها للتراكيب الفاسدة والمعاني الكاسدة، فلله درُّك؛

---

(١) هذا دليل على أنه أصغر سنا من الشيخ "حسن قويدر"، وقد استبان ذلك إبَّان التعريف بهما في القسم الأول (مقدمة التحقيق)، حيث وجد أن محمد عاقل ولد سنة ١٢٣٨هـ – ١٨٢٢م، وأن الشيخ قويدر ولد سنة ١٢٠٤هـ – ١٧٩٠م.

(٢) لغب: تعب، واللغوب هو التعب والإعياء، وألغبته أنا أي أنصبته، وألغبه السير وتلغَّبه، فعل به ذلك وأتعبه، لسان العرب (لغب).

(٣) التحكم: مأخوذ من حكّم الرجلَ: منعه مما يريد. لسان العرب (حكم).

(٤) من بيت في كتاب (الأغاني) منسوب إلى "عمران بن حطان" يقول فيه:

أسد على وفي الحروب نعامة ربداء تجفل من صفير الصافر

(الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني جـ١٨ ص١٢٢، تحقيق/ سمير جابر، دار الفكر، بيروت (د.ت)

(٥) العنوان من وضع الباحث.

(٦) في هذه الكلمة تعريض بصاحبه.

حيث أتحفتنا بأعجوبة من الأعاجيب، وأطرفتنا بجامعة الأباطيل والأكاذيب، ولو لم يكن من ثمراتها إلا امتياز السمين من الغث، والجديد من الرث، لكان ذلك كافيا، وللفؤاد شافيا، بيد أني جمعت بها بين ضدين: ضحك السن وبكاء العين، أما ضحكي فمن ألفاظها السخيفة، وحججها الواهية الضعيفة، وقد خفت أن أتلوث من أقذارها، فشمرت الذيل، وجريت مجري السيل، وعلمت أن قائلها غِرٌّ(١)، لا يعي، ومع ذلك يدعي، وحيث كان على هذا الحال فما له يتصدي للجدال؟!، وما للأعمى يتشوف للهلال؟، وما للنساء يتشبهن بالرجال؟ ولكن من كانت قريحته(٢) قريحة(٣)، ومقلة خاطره جريحة، وعين فكرته شحيحة، فلا يبالي حينئذ من الفضيحة.

وأما بكاي عليك، فكنت أتوسم فيك العقل تفاؤلا باسمك الكريم، كما تفاءلوا بمفازة وسليم(٤)، فإذا أنت عنه في حيز، وقد بلغت هذا العمر ولم تميز، كيف لا وقد صعَّرت وجهك مع من تبع رأيك في كتابة ذلك الصك وقفاك(٥)، وتظن بأنه وافاك، مع أنه أرغم أنفك وفاك(٦)، تكلم بالقبيح على لسانك، وأنت لسوء رأيك تدعيه يا مسكين، هذا لك عدو مبين، لو كنت عاقلا ما استنصرت

---

(١) رجل غِر بالكسر، وغرير أي غير مجرب. لسان العرب (غرر).

(٢) قريحة الإنسان: طبيعته التي جبل عليها، وجمعها قرائح. لسان العرب (قرح)..

(٣) وقريحته قريحة: ذات قرح وقرحة دائمة، أي جراحات وآلام، ومنه قوله تعالى: ﴿فُضِّلَتْ الشُّبُوَرِيُّ الزُّرْقُ الدُّخَّانُ الْجَاثِيَةُ الْأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الْفَتْحِ﴾(آل عمران ١٤٠). لسان العرب (قرح).

(٤) تقول العرب للديغ: سليم، وللمهلكة: مفازة على سبيل التفاؤل، انظر: الكامل في اللغة والأدب للمبرد جـ١ ص٩٤، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م، ومجمع الأمثال للميداني جـ٢ ص٣٩٠.

(٥) قفاه قَفْوا وقُفُوا، واقتفاه، وتقفاه: تبعه. لسان العرب (قفا).

(٦) ورد في دعائهم: رغم أنفه، بمعنى أرغم الله أنفه أي ألزقه بالرَّغام، وهو التراب. (أدب الكاتب لابن قتيبة ص ٤٠، تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة = =التجارية، مصر، الطبعة الرابعة ١٩٦٣م)، ولم يرد في لغة العرب رغم فاهه، ولذا فهي مجلوبة للتسجيع..

بمن عمد لسهم عنقك فراشه[١]، وألقيت نفسك في نار الملام كأنك فراشة، ثم بعد اطلاعي على تلك الرقعة التي حوت العجائب، وصبغ أديم وجهها سواد المصائب، صرفت عنها البال، ونبذتها في عراء الإهمال، وقلت: "إن اشتغالي بردها فيه ضياع للعمر المحصور، ﴿ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلۡعَظِيمُ﴾[٢]، ومن الغواية عذل من لا يرعوي عن جهله، وخطاب من لا يفهم، ثم بعد مدة أخبرني الثقاة بأنك دائما تذكرها، وفي كل مجلس تنشرها، كاشفا عوراتها، مفتخراً بخرافاتها، وأنك لا تزال تشوش بها المسامع، حتى يردعك عن ذكرها رادع، فألجأتني الضرورة إلى ردها خائبة، وبيان كلياتها الكاذبة:

تلجئ الضرورات في الأمور إلى سلوك ما لا يليق بالأدب [٣].

وسميت ذلك (الأغلال والسلاسل في مجنون اسمه عاقل)، فاستمع أنت كلامي، ووجِّه نحرك نحو سهامي: أما قولك: إنك وجهت وجهك تلقاء ذلك الكتاب، فإذا هو أشبه بالسراب، فأقول: السراب في حد ذاته قبيح، ولكن ذكره على هذا الوجه مليح، ولكل وجه ما يناسبه، ولكل طبع ما يقاربه:

فإن كان قولي وهو كالورد يانعا غدا كسراب في أنوف ذوي الخطلْ

فما ذاك إلا من فساد مزاجهم وهل حط قدر الورد إيذاؤه الجُهَل[١].

---

(١) راش السهمَ ريْشا وارتاشه: ركب عليه الريش. لسان العرب (ريش)، وقوله: عمد لسهم عنقك فراشه: كناية عن الاستهزاء والعبث به.

(٢) سورة فاطر آية (٢٢).

(٣) ورد هذا البيت في كتاب جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري غير معزو لقائله ولفظه: تدعو الضرورات في الأمور إلى..... سلوك ما لا يليق بالأدب (كتاب جمهرة الأمثال جـ٢ ص١٤٦ تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، وعبد المجيد قطامش، دار الفكر، الطبعة الثانية ١٩٨٨، وفي كتاب: السحر الحلال في الحكم والأمثال لأحمد الهامشي: تلجي الضرورات، دون عزو أيضا، ص ١٨، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٥م.

وقولك: ليته دخل الباب ساجداً، ولم يك راكعا ولا قاعداً، أقول: يا مَن يسلح مِن فيه، لا أدخل باباً أنت فيه، لأن من تبع مثلك هلك، حيث بدلت قولا غير الذي قيل لك، وقولك: ليته لم يقل: أشبهت في ألحانها نغمات الأوتار، وأصلح ما في كلامه من اللحن الذي يكال بالأرادب، ويوزن بالقنطار، أقول: لو كنت صادقا فيما تدعيه لبينت لحن كلامي الذي لا تعيه، على أنك لو أظهرت مكيالك لأحد لفضحك، ورمي رُبْعك[٢]، وقدحك، ولعل صنعتك الأصلية[٣]، غلبت عليك فمرت الأرادب[٤] على قلبك، وقناطر الحب على لسانك، ومن شب على شيء لا يزال لهجا بذكره، ودعوى العالِمية لا تخرج الإنسان عن طبيعته الأصلية وقولك: ما المانع من زيادة الألف في أكحلت، حيث سمع التكحيل كقوله:

وكحل مآقيك الحسان بإثمد[٥].

---

(١) لعل هذين البيتين من إبداع الشيخ قويدر نفسه، إذ لم أقف عليهما فيما اطلعت عليه من موسوعات أدبية وشعرية.

(٢) الرُّبْع: جزء من أربعة أجزاء، ويطلق عرفا على مكيال يسع أربعة أقداح، والجمع (أرباع). (المعجم الوسيط جـ١ ص٣٢٤).

(٣) جاء في ترجمته أنه كان يشتغل بالتجارة إلى جانب قيامه بالتدريس. انظر ترجمته في أول هذا البحث، ويدل على أنه كان يتاجر في الغلال والحبوب قوله في ديوانه المخطوط: (مجموع أشعاره لوحة رقم ٣)

وإردب قمح اشتريت وكِلْتُه فألفيته في الدار يصفو على الربع
فقلت لهم: عيدوه للكيل وانظروا فما منشأ النقصان قالوا: في الربع

(٤) الأرادب: جمع الإرْدَب، وهو مكيال ضخم لأهل مصر، قيل يضم أربعة وعشرين صاعا. لسان العرب (ردب).

(٥) من بيت لحسان بن ثابت سبق تخريجه ص٩.

فإن التفعيل والإفعال قد يكونان بمعنى واحد كما في أنزل ونزل، قال تعالى: ﴿ الْأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الْفَتْحِ الْحُجُرَاتِ قٓ الذَّارِيَاتِ الطُّورِ ﴾[1]، وقال:" تبارك الذي نزل الفرقان"[2]، أقول: هذا من جملة فصاحتك أيها الظالم المتعدي، عميت بصيرتك فلم تفرق بين اللازم والمتعدي، اعلم أن كحَل ثلاثي ويتعدي بنفسه، يقال: كحَلت العين، وقد تضاعف عينه لقصد التكثير لا للتعديه، لأنه متعد بنفسه[3]، فيقال: كحَّل بتشديد الحاء، ومصدره التكحيل، ومنه:

وكحل أماقيك الحسان بإثمد

وأما نزل فهو لازم، فإن قصد تعديته ضُعِّف، كقوله تعالى: ﴿ الزُّمَرِ غَافِرٍ فُصِّلَتْ الشُّورَى ﴾[4]، أو أتى بهمزة التعدية[5]، كقوله ﴿ الْأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الْفَتْحِ الْحُجُرَاتِ قٓ الذَّارِيَاتِ الطُّورِ ﴾[6]، واستشهادك بقول القاموس في الأرض: اكحلَّت واكحالّت حين يُرى بها خضرةُ أول النبات، فلا شاهد في ذلك على مدعاك، لأن اكحلت واكحالت بتشديد اللام فيهما غير المعنى الذي يفيده

(١) الكهف آية (١).
(٢) الفرقان آية (١).
(٣) لأن الفعل (كحل) يصل إلى مفعوله بغير حرف جر، وهذه صفة الفعل المتعدي، أما الفعل اللازم فهو مالا يصل إلى مفعوله إلا بحرف جر، نحو "مررت بزيد"، أو لا مفعول له، نحو "قام زيد"، وعلامة الفعل المتعدي أن تتصل به هاء تعود على غير المصدر، هي هاء المفعول به، نحو: "الباب أغلقته"، وعلى هذا يجوز" العين كحلتها". انظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك جـ٢ ص ١٢١و١٢٢، تحقيق/ محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، مصر ٢٠٠٤م.
(٤) سورة الفرقان آية (١).
(٥) وتسمى أيضا همزة النقل، فإذا أدخلت على الفعل الثلاثي اللازم، أو الثلاثي المتعدي لواحد، أو لاثنين، غيرت حاله، وجعلت الثلاثي اللازم متعديا لواحد، وصيرت الثلاثي المتعدي لاثنين متعديا لثلاثة. النحو الوافي جـ٢ ص٥٨.
(٦) سورة الكف آية (١).

تركيب كلامك، حتى لو قرئ أَكْحَلَتْ بتاء التأنيث الساكنة، وعيني فاعل، فقولك: تعلم سجعاته يأبى إجازةَ هذا المجاز.

وأما إسقاطي الألف عند الوقف من (ألف)، فكم طبع سليم لذلك ألف، وإن كان طبعك منه أنف، لأنها لغة عربية رفيعة، وناهيك بلغة ربيعة.

وقولك: إن الاعتراض إنما يتوجه على الإنسان فيما هو من تصرفات الأذهان، وأما مثل سقوط حرف من كلمة، أو تقديم حرف على آخر مع ظهور المراد، فلا معنى للاعتراض به، أقول: لا يستقيم معنى اختل لفظه؛ لأن "اللفظ جسم، والمعنى روح له[1]، ولا قيام للروح بغير جسم، كما لا نفع في جسم بلا روح.

---

(١) يقول ابن رشيق القيراوني: "اللفظ جسم وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم، يضعف بضعفه، ويقوى بقوته.. ولا تجد معنى يختل إلا من جهة اللفظ.. ". (العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن شيق جـ١ ص١١٢)، والشيخ حسن قويدر في استخدامه عبارة ابن رشيق دليل على أنه يرى رأيه في أن اللفظ والمعنى وجهان لعملة واحدة، لا يمكن أن يستغنيَ أحدهما عن الآخر، وأنه لابد من الإجادة في كل منهما.

وقضية (اللفظ والمعنى) التي أثارها الشيخ، قضية نقدية من الأهمية بمكان، تكلم فيها الجاحظ قبل ذلك، فانحاز إلى الألفاظ على حساب المعاني في قوله: "والمعاني مطروحة في الطريق، يعرفها العجمي والعربي، والبدوي والقروي والمدني، وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخير اللفظ وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع وجودة السبك، فإنما الشعر صناعة، وضرب من النسج، وجنس من التصوير"، (الحيوان للجاحظ جـ٣ ص٧٦، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ)، لكن الإمام "عبد القاهر الجرجاني" حين تحدث في هذه القضية كان له رأي آخر، إذ يقول: "إذ الألفاظ خدم المعاني، والمصرفة في حكمها، وكانت المعاني هي المالكة سياستها، المستحقة طاعتها، فمن نصر اللفظ على المعني كان كمن = =أزال الشيء عن جهته، وأحاله عن طبيعته، وذلك مظِنة الاستكراه، وفيه فتح أبواب العيب، والتعرض للشين..." . (أسرار البلاغة ص٨، تحقيق/ محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، د.ت)،

وقولك: إني اعترضت على الفاتح، ووقعت في مجانيق المانح، فهذا منجنيق نصبته لمثلك الذي ما وصل، لأوقعك به وقد حصل، ذكرت هذا اللفظ على سبيل المشاكلة[1]، فبعد عنك إدراك ذلك وما اقترب، والمشاكلة وردت في الكتاب والسنة وكلام العرب، قال الله تعالى: ﴿ السَّيِّئَةُ الْأَخْزَانِ سَيِّئَةٌ ﴾[2]، ﴿ [الْبَقَرَة] [3] آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ الْمَائِدَة الْأَنْعَام ﴾[4]، وفي الحديث: "إن الله لا يمَل حتى تملوا[5]"، وقال الشاعر:

ألا لا يجهلَنْ أحد علينا فنجهلَ فوق جهل الجاهلينا[6]

ولقد عجبت منك ومن حالك، ومن سواد قلبك الحالك، كيف تنفي استدلالي على شهرة القصيدة المسروقة بحفظ أطفال المدارس لها بأنه لا يعتبر حفظهم، وتثبت إطلاق الفاتح على الله ببيت شعر من كلام "عبد الله بن

وهو بذلك يعد من أنصار المعني، أما ابن رشيق فينتصر للاثنين معا، وكذلك فعل قدامه بن جعفر في كتابه "نقد الشعر"، وذلك ما تمذهب به الشيخ "حسن قويدر" فيما قال.

(١) المشاكلة في اللغة هي المماثلة، والذي تحرر في المصطلح عند علماء هذا الفن أن المشاكلة هي ذكر الشيء بغير لفظه لوقوعه في صحبته، كقوله تعالى ﴿ السَّيِّئَةُ الْأَخْزَانِ سَيِّئَةٌ ﴾ (سورة الشوري آية ٤٠)، والأصل: وجزاء سيئة عقوبة مثلها. (خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي جـ٢ ص٢٥٢، تحقيق/ عصام شحيتو، دار مكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

(٢) سورة الشوري آية (٤٠).

(٣) في المخطوطة: ومن، والصواب ما أثبته.

(٤) سورة البقرة أية (١٩٤).

(٥)الحديث بتمامه: "إن الله لا يمل حتى تملوا، اكلَفوا من العمل مالكم به طاقة". (موطأ الإمام مالك جـ٢ ص١٦٢).

(٦) ديوان عمرو بن كلثوم، ص ٧٨، تحقيق د/ إيميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.

طاهر"[1]، وهو من المولدين، وبسماع هذا الاسم من جهلة المؤذنين، وبعدم الإنكار عليهم في مثل هذا العصر الذي تجاهرت الناس فيه بالمعاصي، ولم ينكر المنكر فيه دان ولا قاصى، أهؤلاء يحتج بكلامهم في الأحكام الشرعية، وأهل المدارس لا يحتج بحفظهم على شهرة ما حفظوه من كلام الغير؟، أهذا الهزيان من تصرفات الأذهان؟

وقولك: إن الإشارة للجمع بما للواحد أمر صحيح إلخ، ليت شعري أهذا مغالطة أم ذهول؟، وإذا كان غريمي غِراً فماذا أقول؟ فليعلم الغائب الشاهد بأن هذا الرجل قولني ما لم أقل، استشهد بغير شاهد، فإني قلت: وذكَّرت اسم الإشارة وحقه التأنيث، ولم أقل: أشرت للجمع بما للواحد، على أن الذي عليه المعوّل، أن ما أوهم الإشارة للجمع بما للواحد تأول، قال البيضاوي[2]، في قوله

---

(١)هو أبو العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق الخزاعي، أمير خراسان، ومن أشهر الولاة في العصر العباسي، كان سيداً نبيلاً، عالي الهمة شهماً، من أكثر الناس بذلا للمال، مع علم ومعرفة وتجربة، وللشعراء فيه مراث كثيرة، أصله من خراسان، ولي إمرة الشام مدة، ثم نقل إلى مصر سنة ٢١١ هـ، فأقام بها سنة، وتوفي بنيسابور، وقيل بمرو سنة ٢٣٠هـ – ٨٤٤م، (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان جـ٣ ص ٨٣ ، تحقيق د/ إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٤م، وتاريخ دمشق لابن عساكر جـ٢٩ ص٢١٦، تحقيق/ على شيري، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، والأعلام للزركلي جـ٤ ص٩٣)، والبيت المقصود هو:

يا فاتحا لي كل باب مرتج إني لعفو منك ربي مرتج

ولم أجده في أي كتاب منسوباً إلى "عبد الله بن طاهر"، بل إلى العباس بن محمد المعروف بعباسة كما سبق.

(٢) هو العلامة المفسر، قاضي القضاة، ناصر الدين، أبو الخير، عبد الله بن عمر بن على البيضاوي الشيرازي الشافعي، كان إماما علامة، عارفا بالفقه والأصلين، والعربية والمنطق، نظاراً صالحا متعبداً، عالم أذربيجان، له كثير من التآليف والتصانيف، توفي سنة خمس وثمانين وستمائة، بتبريز، وقيل سنة إحدى وتسعين. (بغية الوعاة في

تعالى: ﴿ٱلصَّفُّ ٱلْجُمُعَةِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ (١)، أي بين ما ذكر من الفارض والبكر (٢)، وما ذكر مفرد، وقال أيضاً في قوله تعالى: ﴿ٱلْمَآئِدَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ٱلْأَعْرَافِ ٱلْأَنفَالِ ٱلتَّوْبَةِ يُونُسَ﴾(٣): إن الإشارة للمجيء المأخوذ من جاءتكم قبله، أي فبمجيئها فليفرحوا(٤)، والمجيء مفرد، وقال في قوله تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قَالَ﴾ (٥)،: أي المذكور من الجزاء والرضوان(٦)، والمذكور مفرد، وقال في قوله تعالى: ﴿ٱلزَّلْزَلَةِ ٱلْعَٰدِيَٰتِ ٱلْقَارِعَةِ ٱلتَّكَاثُرِ ٱلْعَصْرِ ٱلْهُمَزَةِ ٱلْفِيلِ﴾(٧): أي المنهي عنه من الخصال الخمسة والعشرين(٨)، والمنهي عنه مفرد، والإشارة في جميع ذلك للمفرد لا للجمع، فلا تكثر يا أخي من لغطك، وتأخذ بظاهر القرآن وتحتج به على غلطك.

طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي، جـ٢ ص ٥٠و٥١، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان (د.ت)، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة جـ٢ ص١٧٢، تحقيق د/ الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ).

(١)سورة البقرة آية (٦٨).

(٢) انظر تفسير البيضاوي المسمى "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" جـ١ ص٨٦، تحقيق/ محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٨١هـ.

(٣) سورة يونس آية (٥٨).

(٤) انظر: تفسير البيضاوي جـ٣ ص١١٦.

(٥) سورة البنية آية (٨).

(٦) انظر: تفسير البيضاوى جـ٥ ص٣٢٩.

(٧)سورة الإسراء آية (٣٨).

(٨) انظر: تفسير البيضاوي جـ٣ ص٢٥٥.

وقولك: وماذا في المصابح من العيب، والله تعالى يقول: ﴿ٱلْجُمُعَةِ ٱلْمُنَافِقُونَ ٱلنَّغَابُنِ ٱلطَّلَاقِ﴾[1]، أقول: هذا من قصور باعك، وعدم اطلاعك، توهمت أن مفاتح في الآية جمع مفتاح فهِمت[2]، والأمر على خلاف ما فهمت، المفاتح جمع مَفتَح[3] كملاعب جمع ملعب، وفي القاموس: المفتح كمسكن الخزانة والكنز والمخزن[4]، وجمع مفتاح مفاتيح، وجمع مصباح مصابيح، وأما مصابح بغير ياء فهي الأقداح التي يصطبح بها كما في الصحاح[5]، جمع مِصبح كمِنبَر، فإن كان مرادك أن شعراء الإسكندرية شهدت لك بشرب الأقداح وقت الصباح فذكرك المصابح في محله وإلا فلا.

وقولك في الأسياد جمع سِيد وهو الأسد أو الذئب، والواجب على المعترض أن ينظر بعين الكمال، ويعرف أن المراد شهدت لي بالفضل أسود الرجال إلخ، أقول: أف لهذا الطبع ما أغلظه، يتخلص من مخففة، ويلقي نفسه في مغلظة، الخطأ في التراكيب أقل خطراً، وأخف شرراً من الكذب، أي أسود من الرجال شهدت بفضلك؟، بل أي فرد من أفراد العالم يتوهم وجود عقلك؟:

(١) سورة الأنعام آية (٥٩).
(٢) هِمت: من هام يهيم هياما، وهو جنون يأخذ البعير حتى يهلِك. لسان العرب (هيم).
(٣) في تفسير البيضاوي: "وعنده مفاتح الغيب: خزائنه، جمع مَفتح بفتح الميم، وهو المخزن أو ما يتوصل به إلى المغيبات". (جـ٢ ص١٦٥) .
(٤) القاموس المحيط للفيروز آبادي ص٢٩٨.
(٥) الصحاح للجوهري جـ١ ص٣٨٠، تحقيق/ أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

فاشـــــهد بصـــــدق مقـــــالتي أو لا فكـــــذبني بواحـــــد[١]

وأدل دليل على ذلك أنك تقلبت بجهلك في رمسك[٢]، وجئت لقصيدة شهيرة فنسبتها إلى نفسك، وما كفاك هذا حتى أطنبت في مدحك غاية الإطناب، وتعاليت بنفسك الدخانية حتى وصلت بها إلى السحاب، مع أن مدحة الإنسان نفسه تمجها أسماع الأرقا[٣]، وتنفر منها القلوب ولو كانت حقا، فكيف إذا كذبها العيان، ولم يتصورها عقل إنسان، فأي قرينة مع هذا تدل على أن أسود الرجال شهدت بفضلك، دعنا بالله من هذه الإمارة، ولا تطع النفس الأمارة، "ورحم الله امرءاً عرف قدر نفسه"[٤].

وأنكرت جمع سَيّد على سادات وسادة، فقلتُ: عدم الرجل رشاده، أما سادة فهو جمع سيد بلا ريب، وما كنت راجعتها في كتاب لغة، ولكن المؤمن يرى بنور الغيب، قال "الجوهري" في صحاحه: ساد قومه يسودهم سيادة وسوددا وسيدودة، فهو [سيدهم] [٥]، وهم سادة، تقديره: فَعَلة بالتحريك، لأن تقدير سيد فعيل، وهو مثل سري وسراة، ولا نظير لهما، يدل [على ذلك] [٦]، أنه يجمع

---

(١) البيت منسوب إلى أبي عامر الجرجاني في كتاب (ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا)، لشهاب الدين الخفاجي ص٤٦٤، تحقيق/ عبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي، الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ – ١٩٦٧م.

(٢) الرمس: القبر. لسان العرب (رمس).

(٣) الأرقا بالقصر: أصلها الأرقاء، جمع رقيق.

(٤) ينسب هذا القول إلى "عمر بن عبد العزيز" رضى الله عنه. انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوى القاهري جـ٤ ص٢٩، تحقيق/ ماجد الحموي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ.

(٥) في المخطوطة: (فهو سيد)، والتصويب من الصحاح.

(٦) في المخطوطة: (يدل لذلك)، والتصويب من الصحاح.

على (سيائدة) [١] [٢]، بالهمزة، مثل أفيل و(أفائلة) [٣]، أ.هـ[٤]، وفي "جامع اللغة"[٥]: ساد قومه من باب كتب، وسوداً أيضا بالضم، وسيدودة بالفتح، وهو سيد والجمع سادة، وعبارة "المختار"[٦] مثلها، حرفا بحرف.

وأما سادات فهو وإن كان جمعَ جمعٍ يطلق عليه جمعٌ، كأبى الأب يطلق عليه أب على سبيل المجاز، على أن عبارة "المصباح" نص في أن كلا من سادات وسادة جمع لسيد، حيث قال: وساد يسود سيادة، والاسم: السؤدد، وهو المجد والشرف، فهو سيد، والأنثى سيدة[٧]، والجمع سادة وسادات[٨]، فحصرك جمع سيد فيما كان بالواو أو الياء والنون نوع من أنواع الجنون.

وقولك: ليت سيدي ترك جميع ما فعل فأراح واستراح، ولعله إذ ذاك كان في المستراح، فجعل مادته رأسه، لأنه لم يجد كراسه، أقول: لعل سيدي شرِب الراح، والعقل منه راح، فجري على لسانه المستراح، فبالله ما هذه البذاءة التي فيك، والنجاسات التي تخرج من فيك.

---

(١)في المخطوطة: (سيائد)، والتصويب من الصحاح.
(٢)الصحاح للجوهري جـ٢ ص٤٩٠ مادة (سود).
(٣) في المخطوطة: (أفائل)، والتصويب من الصحاح.
(٤) الصحاح للجوهري جـ٢ ص٤٩٠ مادة (سود).
(٥) لم أعثر على مرجع بهذا الاسم.
(٦) هذا النص في مختار الصحاح للرازي ص ٣٢٦، تحقيق/ محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.
(٧) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي جـ١ ص٢٩٤، (كتاب السين)، المكتبة العلمية، بيروت (د.ت)، وهذا الكلام فيه اختصار لما أورده الفيومي في مصباحه.
(٨) السابق جـ١ ص٢٩٤ (كتاب السين).

وعجيب احتكَّت العقرب بالأفعى[١]، واستنَّت الفصال حتى القرعا[٢].

وقولك: وقول سيدي: صواب قولي: رسمت أشواق وجدى إذ بعثت به بها غير صحيح، فإن قبل الضمير (أشواق ووجد)، فإن ذكر فهو عائد على الوجد، وإن أنث فهو عائد على الأشواق وهما بمعنى واحد، والإضافة للبيان، أقول:

لـــي حيلـــة فـــيمن يـــنم ... م ولـــيس في الكـــذاب حيلـــة

مـــن كـــان يختلـــق الكـــلا ... م فحـــيلتي فيـــه قليلـــة[٣]

---

(١) المثل يقول: "تحكّكت العقرب بالأفعى"، ومعنى تحككت العقرب بالأفعى، لصقت بها، وحلقت حواليها، أو تعرضت لشرها، ويضرب لمن يصارع أو ينازع أو يخاصم من هو أقوى منه، أو يتشبه بغيره ويحكي فعله، ولا يقوى قوته. (زهر الأكم في الأمثال والحكم لأبى على اليوسي جـ٢ ص١٢٦، تحقيق د/ محمد حجي، ود/ محمد الأخضر، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ – ١٩٨١م..

(٢) يضرب هذا المثل أيضا في الضعيف، يباري القوى، وعند تمدح الرجل بالشيء ليس من أهله، واستن الفرس وغيره إذا قمص وهو أن يرفع يديه ويضعهما معا، ويعجن برجليه، والفصال جمع فصيل من الإبل معروفة، والقرعى جمع أقرع، والقرع داء يصيب الفصلان في أعناقها، والقرعي لا يمكنها الاستنان. (انظر: زهر الأكم في الأمثال والحكم جـ١ ص ٣٣٤.

(٣)في (حياة الحيوان الكبرى) منسوبان إلى الفقيه منصور اليمني، والبيت الثاني برواية أخرى تقول:

من كان يخلق ما يقو ... ل فحيلتي فيه قليلة

(حياة الحيوان الكبرى لأبى البقاء الدميري جـ٢ ص ٣٨٢، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ)، وفي الموشح للمرزباني منسوبان إلى "محمود بن مروان بن أبى الجنوب"، ورواية البيت الثاني فيه:

من كان يكذب ما ير ... يد فحيلتي فيه قليلة =

لقد غيرت وبدلت وحرفت الكلم عن مواضعه، والذي رقمته بخط بنانك، ووجد في الأصل ولا يستقيم الشطر الثاني إلا به:

رسائل الشوق لو بعثت [به] (١) إليكم لم تسعها الطرق والسبل(٢)

وتريد الآن أن تغير الشطر الأول بشطر فيه (أشواق وجدى) ليصح تذكير الضمير وتأنيثه، هيهات هيهات، إن من الآفات طمع النفس في استدراك ما فات، وأما ما قلتَه في فاء الفصيحة فذكره فضيحة وأي فضيحة، وأعجب منه وأغرب ما كتبته على (تعلب)، فلا عدمنا هذه الأنقاد، والذهن الذي اشتعل إلى أن قاد.

وقولك: إن كان ما قلته في شأن قصيدتي حقا، فهو أول دليل على فضلي، حيث اتفق خاطري مع خاطر شاعر فاضل قبلي إلخ، أقول: أليس من القباحة، سارق وذو وقاحة، مع أن السرقة تذل النفوس، وتنكس الرؤوس، ودعواك أن هذا توافق خواطر من الكذب والبهتان، ونعوذ بالله من عثرات اللسان، ومداخل الشيطان، وتوافق الخواطر غالبا يكون في نصف بيت أو بيت، وهذه قصيدة تربى(٣) على ثلاثين بيتا، ولم يتغير من أصلها بيت واحد،

= قال المبرد: وقد ناقض هذا الشاعر؛ لأنه قال: "وليس في الكذاب حيلة"، ثم قال: "فحيلتي فيه قليلة". (الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء للمرزباني ص ٣٩١، تحقيق/ محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م .

(١) في المخطوطة: (بها)، وقَصْدُ الشيخ أن يوردها على خطئها (به) كما ذكر "محمد عاقل"، لا على وجهها الصحيح، كما في القصيدة.

(٢)صوابه كما في ديوان بهاء الدين زهير:

رسائل الشوق عندي لو بعثت بها إليكم لم تسعها الطرق والسبل

(ديوانه ص٢٨٠).

(٣) ربا الشيءُ يربو ربوا ورباء: نما وزاد، وفيه أيضاً: أربى على الخمسين ونحوها: زاد، (لسان العرب مادة ربا)، وبناء على ذلك فالمضارعان تربو وتربى جائزان.

وقد راجعت الأصل الذي نقلت منه في نسخة عند صاحبك الشيخ "إسماعيل الحلبي[١]"، فلم أجد اختلافاً إلا في تحريفك الذي نبهتك عليه، فكيف مع هذا تقول: إنها من توافق الخواطر؟!، الغبي من استغبى الناس، وبنى على غير أساس، وأظهر الثروة مع الإفلاس، وعاد عليه طمعه في المستحيل بالانعكاس.

وقولك: إن السرقة لا تثبت إلا بإقراري أو بينة، أقول يا من غفلته بينة، أهذه سرقة متاع لا تثبت إلا بإقرار أو بنية؟، ولأي شيء ما حلفت اليمين، ولكن السارق إذا حلف يمين[٢]، ولولا أن قلبي بالشفقة هائم، حتى على البهائم، لأحضرت الشهود، وفضحتك في يوم مشهود.

وقولك: وأطفال المدارس إن كان مرادك بهم أطفال المكاتب الذين يتعلمون القرآن، فهذا كذب لا شك فيه، وإن كان مرادك أهل الجامع الأزهر إلخ، أقول: لو كنت ذا رأي صائب، وفكر ثاقب، لما درت في المدارس هذه الدورة، ولسترت جهلك بالسكوت، فإن كلام مثلك عورة، إن مرادي بالمدارس يا من عقله عقل مدروس[٣]، وكلامه كلام دارس[٤]، ما خصصه العرف، وهو المدارس الميرية التي رميت أهلها بما فيك، وأتعبت كاتب شمالك بما تلفظه من فيك، حيث قلت إن أمرهم تغض دونه الأبصار، ﴿هُؤُلَاءِ يُوسُفَ الرَّعَدِ إِبْرَاهِيمَ الْحِجْرِ النَّحْلِ الْإِسْرَاءِ﴾[٥]، والعاقل في عقال، وما كل ما يعلم يقال، فلعمري لقد أكثرت القيل والقال، رزقك الله العقل ولكن بعقال، ما هذه الألفاظ التي لا تقال، إلا عثراتٍ أنت منها لا تقال، أما علمت أن ستر العورة من الواجبات، أما

(١) لم أقف له على ترجمة.
(٢) مان يمين مينا: كذب لسان العرب (مين).
(٣) مدروس: مأخوذ من درس الشيء والرسم إذا عفا وخلِق، لسان العرب (درس).
(٤) دارس: بمعنى مدروس.
(٥) سورة هود آية (١١٣).

سمعت أن الغِيبة تأكل الحسنات، على أن كلا منا ملوث بالذنوب، مشوه بالعيوب، فمن كان في قلبه أدنى إحساس، اشتغل بعيوب نفسه عن عيوب الناس(١)، هب أن لهم عيوبا أنت عري عنها، وبري منها، فذكرك مساويهم صيرك مساويهم(٢)، وحيث كنا عن الخاتمة في حجاب حالك، فمن أين يعلم الناجي من الهالك؟، فإذا نظر الإنسان إلى علمه، فرب علم أورث صاحبه يوم القيامة حسرة، وإن في ضلال إبليس مع علمه لعبرة، وإذا نظر إلى عمله، فمدار العمل على القبول والقبول مجهول لنا فماذا نقول؟، رزقنا الله حسن الخاتمة إذا العمر انتهى، وجعلنا ممن إذا أمر ائتمر، وإذا نهى انتهى.

(١) في الحديث الضعيف: "طوبي لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من كلامه..". (سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة للإمام الألباني جـ٨ ص٢٩٩، دار المعارف – الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م، وفي مسند البزار من حديث أنس بن مالك: "طوبي لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، وتواضع لله في غير منقصة، وأنفق من مال جمعه في غير معصية، وخالط أهل الفقه، وجانب أهل الشرك..." . (مسند البزار جـ١٢= = ص٣٤٨، تحقيق/ محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبرى عبد الخالق الشافعي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.

(٢) أي ذكرك عيوبهم صيرك مكافئا لهم، وشريكا معهم فيها.

فهرس المصادر والمراجع

- الآداب العربية في القرن التاسع عشر من السنة ١٨٠٠ إلى ١٨٧٠م، لويس شيخو، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩١٠م.
- الإحكام في أصول الأحكام للآمدى، تحقيق د/سيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
- أدب الكاتب لابن قتيبة، تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية، مصر، الطبعة الرابعة ١٩٦٣م.
- أسرار البلاغي، عبد القاهرة الجرجاني، تحقيق/ محمود محمد شاكر، مطبعة المدني القاهرة (د.ت).
- الأعلام للزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة ١٩٨٠م.
- أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني (١٨٠٠– ١٩١٨م)، عادل مناع، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٥م.
- أعيان البيان من صبح القرن الثالث عشر الهجري إلى اليوم، حسن السندوبي، المطبعة الجمالية، مصر، الطبعة الأولى ١٣٣٢هـ – ١٩١٤م.
- الأغاني لأبى الفرج الأصفهاني، تحقيق/ سمير جابر، دار الفكر، بيروت (د.ت).
- الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني ، تحقيق/ الشيخ بهيج غزاوي، دار إحياء العلوم – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ –١٩٩٨م.
- إيضاح المكنون ذيل كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى القسطنطيني الرومي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، (د.ت).
- التاريخ الإسلامي، محمود شاكر، الطبعة الرابعة ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.
- تاريخ دمشق لابن عساكر، تحقيق، على شيري، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ. – ١٩٩٨م.
- تاريخ الدولة العثمانية، محمد فريد بك، دار النفاس، بيروت (د.ت).

- تفسير البيضاوي المسمى (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، تحقيق، محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
- التناص الشعري: قراءة أخرى لقضية السرقات د/ مصطفى السعدني ،منشأة المعارف– الإسكندرية ١٩٩١م.
- التناص نظريا وتطبيقيا، أحمد الزغبي ، مكتبة الكتاني – أربد – الأردن ، الطبعة الأولى ١٩٩٥م.
- جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، وعبد الحميد قطامش، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٨م.
- حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرازق البيطار، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.
- حياة الحيوان الكبرى لأبي البقاء الدميري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ.
- الحيوان للجاحظ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ.
- خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي، تحقيق، عصام شحيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.
- خزانة الأدب للبغدادي تحقيق/ محمد نبيل طريف، وإيميل بديع اليعقوب، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.
- ديوان ابن الرومي، شرح/ أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.
- ديوان أبي الحسن التهامي، تحقيق/ محمد عبد الرحمن الربيع، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.
- ديوان أبي فراس الحمداني، تحقيق/ نخلة قرفاط، مكتبة الشرق، المطبعة الأدبية، بيروت ١٩١٠م.
- ديوان بهاء الدين زهير، دار صادر، بيروت ١٣٨٣هـ – ١٩٦٤م.
- ديوان حسان بن ثابت تحقيق د/ وليد عرفات، طبعة أمناء سلسلة جب التذكارية، لندن ١٩٧١م.

- ديوان زهير بن أبى سلمى، تحقيق/ على حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
- ديوان الساعاتي، جمع/ مصطفى رشيد بك، مطبعة المعارف ١٣٢٩هـ – ١٩١١م.
- ديوان عمرو بن كلثوم، تحقيق د/ إيميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ – ١٩٩١م.
- الذخيرة للقرافي، تحقيق/ محمد حجى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٤م.
- ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا، شهاب الدين الخفاجي، تحقيق/ عبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي، الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ – ١٩٦٧م.
- زهر الأكم في الأمثال والحكم لأبي على اليوسي، حقيق د/ محمد حجى، ود/ محمد الأخضر، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.
- السحر الحلال في الحكم والأمثال، أحمد الهامشي، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٥م.
- السخرية في أدب المازني د/ حامد عبده الهوال، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢م.
- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة، الإمام الألباني، دار المعارف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ– ١٩٩٢م.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد، تحقيق/ عبد القادر الأرناؤوط، ومحمد الأرناؤوط، دار ابن كثير– دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ – ١٩٩١م.
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق، محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الطلائع، مصر ٢٠٠٤م.
- شرح التصريح على التوضيح للشيخ/ خالد الأزهري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

- شعب الإيمان للبيهقي، تحقيق د/ عبد العلي عبد الحميد حامد، ومختار أحمد الندوى، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.
- الصحاح للجوهري، تحقيق/ أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ–١٩٨٧م.
- طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة، تحقيق د/ الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
- طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، تحقيق د/ محمود محمد الطناحي، دار هجر، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق، تحقيق د/ عبد الحميد هنداوى، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
- فاكهة الندماء في مراسلات الأدباء، ناصيف اليازجي، بيروت ١٨٨٩.
- فهارس مكتبة المدينة المنورة للمستشرق السويدي كارلو لاندبرج ترجمه من الفرنسية إلى الإنجليزية د/ عاصم حمدان على حمدان، وترجمه من الإنجليزية إلى العربية د/ عبيد محمد خيري ١٣٠١هـ – ١٨٨٣م.
- فهرست المخطوطات المصورة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة ١٩٧٩م.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوى، تحقيق/ ماجد الحموى، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ.
- القاموس المحيط للفيروز آبادي، تحقيق/ محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثامنة ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.
- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، ابن عثيمين، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ– ٢٠٠١م.
- الكامل في اللغة والأدب للمبرد، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ– ١٩٩٧م.
- لسان العرب لابن منظور، دار الحديث، القاهرة ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.
- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية لأبى العون السفاريني الحنبلي، مؤسسة الخافقين، دمشق، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

- مجمع الأمثال للميداني، تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت.
- مختار الصحاح للرازي، تحقيق/ محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ١٤١٥هـ – ١٩٩٥.
- مسند البراز، تحقيق/ محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبرى عبد الخالق الشافعي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، (د.ت).
- معجم البابطين لشعراء العربية في القرن التاسع عشر والعشرين، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الطبعة الثانية ٢٠٠٢م.
- معجم البلدان، ياقوت الحموى، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٥م.
- معجم المؤلفين، عمر رضا كالحالة، مكتبة المثني، بيروت، ودار إحياء التراث العربي، بيروت (د.ت).
- معجم المطبوعات العربية والمعربة، يوسف سركيس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة (د.ت).
- المعجم الوسيط، تأليف إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وآخرين تحقيق/ مجمع اللغة العربية، دار الدعوة ٢٠١٠م.
- موسوعة بلادنا فلسطين، مصطفى مراد الدباغ، دار الطليعة، بيروت ٢٠٠٦م.
- موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، د/ أحمد شلبي، مكتبة النهضة الإسلامية، مصر، الطبعة السادسة ١٩٨٣م.
- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء للمزرباني، تحقيق/ محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.
- موطأ الإمام مالك، تحقيق/ محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، أبو ظبى، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.
- نيل الأرب في مثلثات العرب للشيخ حسن قويدر، جمع/ محمد فني إبراهيم، المطبعة الكبرى الميرية ببولاق مصر المعزية ١٣٠١هـ.

- وفيات الأعيان لابن خلكان، تحقيق، د/ إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٤م.

- **المخطوطات:**

- الجمع النتيج لكسر جسر الخليج، محمد عاقل كاشف زاده، مخطوط في جامعة الملك سعود تحت رقم ٣٤٦٧ (الرحلات والمغامرات).
- مجموع أشعار محمد عاقل، مخطوط في مكتبة الإسكندرية بمتحف المخطوطات برقم ١٩٧٧٥ أدب.

فهرس الموضوعات

الموضـــــــــــوع	رقم الصفحة
مقدمة.	٤٨٩
القسم الأول: مقدمة التحقيق...	٤٩١
التعريف بصاحب الرسالة.....	٤٩٢
صفاته وأخلاقه.....	٤٩٣
مكانته الأدبية.....	٤٩٤
مؤلفاته ونتاجه الأدبي.....	٤٩٦
نماذج من أدبه.....	٤٩٨
وفاته.....	٥٠٠
التعريف بالشاعر محمد عاقل.....	٥٠١
شعره وأدبه.....	٥٠١
أضواء على العصر.....	٥٠٦
موضوع الرسالة.....	٥٠٩
التعريف بالمخطوطة.....	٥١٠
موازنة فنية.....	٥١٥
المحور الأول: السمات الأسلوبية.....	٥١٥
أولا: التناص.....	٥١٥
ثانيا: استخدام أسلوب التهكم والسخرية.....	٥١٩
ثالثا: أساليب الإقناع العلمي.....	٥٢١
المحور الثاني: السمات الإيقاعية.....	٥٢٣
أولا: السجع.....	٥٢٣

ثانيا: الجناس.....	٥٢٥
ثالثا: الطباق.....	٥٢٦
خلاصة.....	٥٢٨
القسم الثاني: التحقيق.....	٥٢٩
رسالة محمد عاقل.....	٥٣٠
رد الشيخ حسن قويدر على محمد عاقل.....	٥٣٤
رد محمد عاقل على الشيخ حسن قويدر.....	٥٣٨
رد الشيخ حسن قويدر على كلام محمد عاقل...	٥٤٧
فهرس المصادر والمراجع.....	٥٦٣
فهرس الموضوعات.....	٥٦٩